شرح رسالة

آداب العشرة

وذكر الصحبة والأخوة

لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي

٩٠٤هـ - ٩٨٤هـ

إعداد

د. عبد العزيز بن رئيس الرئيس

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

١٤٤٣هـ

الفهرس

مقدمة المؤلف ١
مقدمات ٢
المقدمة الأولى: عِظم حسن الخلق في الإسلام..... ٢
المقدمة الثانية: لأهمية حسن الخلق ذُكر في كتب العقائد ٢
المقدمة الثالثة: جماع حسن الخلق في آية ٣
المقدمة الرابعة: لا تنافي بين حسن الخلق وعقيدة الولاء والبراء ٣
المقدمة الخامسة: نفي كذبة أنَّ جماعة التبليغ أفضل الناس أخلاقًا ٦
المقدمة السادسة: كفاية الكتاب والسنة في باب حسن الخلق ٧
بداءة المتن..... ٨
ق(١) مصاحبة أهل السنة دون أهل البدعة..... ١٠
ق(٢) مصاحبة صالحي أهل السنة ١٠
ق(٣) الحرص على حسن الخلق، فهو خير ما أُعطي المرء..... ١٢
ق(٤) تطلب الأعذار للإخوة من أهل السنة ما أمكن..... ١٣
ق(٥) لا تُعاشر إلا الموثوق بدينه ظاهرًا وباطنًا ١٤

ق(٦) معاشرة كل أحدٍ بحسبه ١٥
ق(٧) الصفح عن عثرات الإخوة وترك لومهم وعتابهم ١٦
ق(٨) ترك مصاحبة أهل الدنيا حتى لا يعلقوا القلوب بها..... ١٨
ق(٩) موافقة الإخوة وعدم مخالفتهم ما لم يُعارض شرع الله ٢٠
ق(١٠) مقابلة ثناء الأخ بالشكر والحمد ٢١
ق(١١) لا يجوز لأحد أن يحسد إخوانه على نعمة دينية أو دنيوية..... ٢٣
ق(١٢) عدم مواجهة الإخوة بما يكرهون..... ٢٣
ق(١٣) ملازمة الحياء فهو لا يأتي إلا بخير ٢٤
ق(١٤) صفاء المحبة وصدق المروَّة في المعاشرة..... ٢٥
ق(١٥) إظهار الفرح للأخ بكل صوره، ومنها الفرح بعشرته..... ٢٦
ق(١٦) مصاحبة العالم أو العاقل الحليم ٣١
ق(١٧) سلامة الصدر والنصيحة للأخوة وقبول نصحهم ٣٢
تنبيه في بيان متى يكون خُلف الوعد نفاقًا..... ٣٣
ق(١٨) الإيفاء بالوعد سببٌ للمحبة وقوة الأخوة ٣٣
ق(١٩) صُحبة من يُستحيَى منه سببٌ لحسن الخلق والعشرة ٣٤
ق(٢٠) الحرص على صلاح الإخوة وإرشادهم للخير ٣٤

ق(٢١) عدم أذية الأخوة بقولٍ أو فعل ٣٤
ق(٢٢) عدم مجاهلة الجاهل ٣٥
ق(٢٣) معاملة الإخوة بمثل ما تحب أن يُعاملوك ٣٥
ق(٢٤) الحرص على مودة الإخوة ومحبتهم ٣٦
ق(٢٥) معرفة اسم الأخ وما يدلُّ عليه للقيام بحقه ٣٧
ق(٢٦) ملازمة الصفح والعفو وترك الحقد على الإخوة يُغلق باب العداوات ... ٣٨
ق(٢٧) المداومة على الأخوة وعدم الملل ٤٠
ق(٢٨) غضُّ الطرف عما يكره مما عند الإخوة ٤١
ق(٢٩) عدم الاستخفاف بأحدٍ من الناس ٤٢
ق(٣٠) عدم قطع صديق بعد مصادقته ومعاشرته ٤٦
ق(٣١) عدم تضييع صداقة صديق بعد وُد ٤٧
ق(٣٢) التواضع بين الإخوة وترك التكبر عليهم ٤٨
ق(٣٣) من جوامع العشر معاملة كل أحدٍ بحسبه ٤٨
ق(٣٤) حفظ الود القديم والأخوة الثابتة ٤٨
ق(٣٥) تكبير الخير من الأخ وتصغير الخير من النفس ٤٩
ق(٣٦) إيثار الأخ وتقديمه على النفس وإكرامه ٤٩

ق(٣٧) معرفة حقوق الفقراء من الإخوة بالقيام بحوائجهم ٥٠
ق(٣٨) حفظ سر الأخوة..... ٥٤
ق(٣٩) مشاورة الأخوة وقبول مشورتهم إذا كانت نافعة ٥٥
ق(٤٠) إيثار الإخوة على النفس ٥٦
ق(٤١) الصحبة للدين لا للدنيا خوفًا وطمعًا ٥٨
ق(٤٢) تركُ مداهنة الإخوة في الدين..... ٥٩
ق(٤٣) الذبُّ عن الإخوة وإعذارهم ٦٠
ق(٤٤) احتمالُ أذى الإخوة وعدم الغضب عليهم..... ٦٠
ق(٤٥) الانبساط بين الإخوة في النفس والمال ٦١
ق(٤٦) التعاون مع الإخوة على بُغض الدنيا..... ٦٥
ق(٤٧) الأدب مع النسوان والأهل بما يناسب حالهم ٦٦
ق(٤٨) الأدب مع الخادم بما يناسبه..... ٦٧
ق(٤٩) الأدب مع أهل السوق بما يناسبهم..... ٦٨
ق(٥٠) الأدب مع الجار ٧١
ق(٥١) خدمة الإخوان صغيرهم قبل كبيرهم..... ٧١
ق(٥٢) دوام الأخوة في السراء والضراء وعدم تغيُّرها ٧٢

ق(٥٣) ترك المن على الإخوة بفعل خير ٧٢
ق(٥٤) عدم قبول الوشاية في الإخوة ٧٧
ق(٥٥) الوفاء للإخوة في الحياة وبعد الممات ٧٨
ق(٥٦) الحرص على الأخ الموافق أكثر من الولد..... ٧٨
ق(٥٧) ستر عورات وقبائح الإخوة وإظهار محاسنهم ٧٨
ق(٥٨) عدم هجر الأخ بغضًا وإنما إذا دعت المصلحة..... ٧٩
ق(٥٩) التودد للإخوة من العقل..... ٨١
ق(٦٠) التغافل عن كل نقص عند الأخ..... ٨٢
ق(٦١) ترك ذمِّ الإخوة والوقيعة فيهم..... ٨٣
ق(٦٢) السرعة في قضاء حوائج الإخوة لاسيما من خصَّك منهم بحاجته..... ٨٤
ق(٦٣) عدم نسيان الأخوة لبُعد الدور..... ٨٤
ق(٦٤) من آداب العشرة صون الآذان عن سماع القبيح من الإخوان ٨٥
ق(٦٥) من الآداب ردُّ الجواب سريعًا وترك التقصير فيه..... ٨٥
ق(٦٦) استعمال آداب الاستئذان ٩٢
ق(٦٧) من دُعيَ لوليمة فليُجب سواء كان صائمًا أو مفطرًا ٩٤
ق(٦٨) زيارة الإخوة وتفقدهم والسؤال عنهم سببٌ للمودة ٩٤

ق(٦٩) مصاحبة الإخوة على طريقتهم وما يرغبون..... ٩٥
ق(٧٠) إنصاف الإخوة من النفس ومواساتهم بالمال..... ٩٦
ق(٧١) الصبر على جفاء الإخوة وعدم تهمتهم..... ٩٦
ق(٧٢) الانتقاء من الإخوة والأصحاب أكملهم..... ٩٦
ق(٧٣) من آداب العشرة والحديث عدم تكلم الصغار بين يدي الكبار ٩٨
ق(٧٤) إذا أراد سفرًا زار إخوانه لعل لهم حاجة..... ٩٨
ق(٧٥) جعل للصلح موضعًا عند الخصومة ٩٨
ق(٧٦) معرفة الرجال ومعاشرتهم بحسب حالهم ٩٩
ق(٧٧) عدم مصاحبة أهل البدع ٩٩
ق(٧٨) معرفة حق من سبق بالود..... ١٠٠
ق(٧٩) ترك الثناء بعد تأكُّد الأخوة والمحبة ١٠٠
ق(٨٠) كلٌّ يُصاحَب بحسب حاله ١٠٠
ق(٨١) لكل جارحة أدبٌ يخصُّها..... ١٠٥
ق(٨٢) أدب الظاهر دليلٌ على أدب الباطن..... ١٠٧
ق(٨٣) مراعاة الباطن في الأدب أولى من مراعاة الظاهر..... ١٠٩
ق(٨٤) الفرح لفرح المسلمين والحزن لحزنهم..... ١٠٩

طرق كسب الأخلاق الحسنة..... ١١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطلعت على تفريغٍ لدورةٍ علميةٍ في شرح رسالة: (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قام بإعدادها بعض الإخوة ووضعوا لها فهرسًا.

أسأل الله أن يتقبّل هذا الكتاب وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، إنه الرحمن الرحيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

http://islamancient.com

١٥ / ٥ / ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

قبل البدء بالتعليق على هذه الرسالة المفيدة أُقدِّم بمقدمات:

المقدمة الأولى: هذه الرسالة تتعلق بحسن الخلق في التعامل مع الخلق، وأمر حُسن الخلق عظيم في الدين، وفضائله كثيرة، ولو لم يكن في فضائله إلا ما ثبتَ في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا**» وفي لفظٍ في البخاري: «**إنَّ من أحبِّكم إليَّ أحسنكم أخلاقًا**».

فأمرُ حُسن الخلق عظيمٌ في الدين، لذا يقول ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين): من زادَ عليك في الخلق زادَ عليك في الدين.

المقدمة الثانية: لأهمية حُسن الخلق فإنَّ طائفةً من العلماء الذين كتبوا في الاعتقاد نصَّوا على الأخلاق، كما فعل هذا أبو بكر الإسماعيلي في كتابه في الاعتقاد، وأبو عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث، وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في أواخر العقيدة الواسطية، فدلَّ هذا على أنَّ لحُسن الخلق مكانةً في الدين.

المقدمة الثالثة: جِماعُ حُسن الخلق في قوله تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ذكر هذا أبو عبد الله جعفر الباقر فيما نقلهُ عنه ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى): وجِماع الأخلاق في هذه الآية؛ وذلك إذا تدبَّرت هذه الآية وجدت أنَّ الأخلاق كلها ترجع إليها، فتأمل قوله: ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾ أي: ما جاءك من الناس فاقبله قلَّ أو كثُر، فلو قصَّروا في حقك فاقبل ما أتاك من الناس، فإنه لو فُعِل هذا لزالت كثيرٌ من المشاكل والخلافات، فإنَّ كثيرًا من المشاكل والخلافات ترجع إلى اعتقاد الإنسان أنَّ فلانًا قصَّر في حقه، لكن إذا قبِلَ كل ما يأتي منه كثُرَ أو قلَّ فإنه بابٌ من أبواب حُسن الخلق.

وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي إذا تكلمت فلا تأمر إلا بالخير، ولا يصدر منك إلا الخير، سواءٌ في فعلك أو قولك أو غير ذلك، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ إذا أخطأ عليك أحد فأعرض عنه ولا تُقابل الخطأ بالخطأ، هذه جِماعُ الأخلاق الحسنة في هذه الآية الكريمة.

المقدمة الرابعة: لا تنافي بين حُسن الخلق والقيام بعقيدة البراء من الكفار وأهل البدع، فإنَّ بعض العاطفيين يظنُّ أنَّ بينهما تنافيًا، ولا تنافي بينهما، فإنَّ أعظم الخلق القيام بالدين، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] أي: إنك لعلى دينٍ عظيم، سواءٌ في الاعتقاد مع الله رب العالمين أو فيما يطلبه منا ربنا في التعامل

مع الخلق، فمما أُمرنا به شرعًا أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، فكثيرٌ من الجاهلين يظنُّ أنَّ فيه تدخلًا في شؤون الآخرين، ولو كان عالمًا لأدرك أن هذا مقتضى الدين، ولو لم تقبلهُ قلوب العاطفيين، فالشريعة تأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو أسخط الآخرين.

ومما أفاد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرًا ما يُعقَب بغضب الناس، لذا قال تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧] وهذا دليل على أنَّ الناس يُعارضون الآمر بالمعروف ويُعادونه، فإذا كان فعل الناس ذلك مع النبي ﷺ ومع الأنبياء والمرسلين، فغيرهم من باب أولى، لذلك لا تنافي بين حُسن الخلق والقيام بالأوامر الشرعية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو البراء من الكفار وأهل البدع والرد على الضالين، فكل هذا هو عين حسن الخلق، فحقُّ الله مُقدَّمٌ على كلِّ أحدٍ، فقد يرى عاطفيٌّ أناسًا من أهل السنة يهجرون أقوامًا من أهل البدع، أو حتى أقوامًا من أهل السنة يستحقون الهجر، فيظن أنَّ هذا ليس على خلق وأنه خالف الأخلاق الحسنة، فيقال: كلا، إنَّ القيام بالواجب الشرعي مُقدَّمٌ على ما تعارَف الناس عليه، وحق الله مُقدَّمٌ على كلِّ حقٍ.

بل قد يقتضي هجر أهل البدع أنه لو مدَّ يدهُ للسلام عليك ألَّا تمُدَّ يدك إليه، وقد فعل هذا سلفنا الكرام كما فعله الأوزاعي مع ثور بن يزيد الكلاعي كما في السير للذهبي، لقى ثور بن يزيد الإمام الأوزاعي فمد إليه ثور يده، فأبى الأوزاعي أن يمد يده إليه، وقال: يا ثور لو كانت الدنيا، كانت المقاربة، ولكنه الدين! فهم لم يردوا السلام على المبتدع، فضلًا عن أن يبتدئوه بالسلام، وهم أحسن الناس أخلاقًا.

وأحسن الناس خلقًا هو محمد ﷺ، وهجَرَ الثلاثة الذين خُلِّفوا، وهم لم يفعلوا بدعة! بل فعلوا ما دون البدعة وهجرهم ﷺ، ويُسلم عليه كعب بن مالك فلا يرد عليه النبي ﷺ السلام!

فيجب أن يكون الإنسان في خلقه ذا دين، وأن يُقدِّم ما أمر الله به ورسوله ﷺ، فالخلق عبادة فلابد من نية حتى يُثاب عليه، ويحتاج أن يكون متبعًا غير مخالف للشريعة، فليس من حسن الخلق بحال أن يسكت عن منكر بُحجَّة الحياء، فهذا ليس حياءً بل خجل، فالحياء لا يأتي إلا بخير، وأشدُّ الناس حياءً هو محمدٌ ﷺ وقام بإنكار المنكرات وأغلظ على الكافرين وأغلظ على الثلاثة الذين خُلِّفوا.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان يُعرَف ذلك في وجهه ﷺ، ومع هذا الحياء الشديد فإنه لم

يمنعه من القيام بأوامر الشريعة وبواجباتها، فيجب أن نكون معتدلين بلا إفراط ولا تفريط وألا نكون أصحاب غلوٍّ ولا جفاءٍ.

المقدمة الخامسة: يدرج على ألسنة كثيرين -وقد يسري إلى بعض أهل السنة- أنَّ جماعة التبليغ والأحباب أحسن الطوائف والجماعات خُلقًا؛ لأنهم يُظهرون التذلّل الشديد للمدعو، وهذا والله من التطفيف في الميزان ومن الخطأ في المعيار، لا شك أنهم يُظهرون التذلّل والانكسار لمن يقبل دعوتهم، لكن عندهم خلل كبير في الخلق فضلًا عن الدين والمنهج والاعتقاد، وفضلًا عن هذا كله عندهم الكذب لمصلحة الدعوة! أيُّ خلقٍ يجتمع مع الكذب؟ لذا يختلقون القصص الكثيرة بحُجَّة دعوة المخلوقين.

ثم إن التبليغي إذا أيسَ منك وعلم مخالفتك له كشَّر عن أنيابه وظهرَ على حقيقتهِ، فأيُّ خلقٍ هذا؟ فإن صاحب الخلق يبقى صاحب خلق، فلذلك الزعم بأنهم أحسن الجماعات أو الطوائف أخلاقًا هذا غلط، بل أحسن الناس أخلاقًا هم أهل السنة، ولا أعني به كل فردٍ، فإنَّ الأفراد يتفاوتون كما أنَّ الإسلام والمسلمين أحسن الناس، وليس معناه أنَّ كلَّ فردٍ من المسلمين أحسن خلقًا من كل فردٍ من الكافرين، وإنما أعني من حيثُ الجملة، فإنَّ الإسلام يدعو إلى حسن الخلق المعتدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وكذا السنة تدعو إلى حسن الخلق باعتدال بلا إفراط ولا تفريط.

فينبغي أن نعرف مثل هذا وألا يسري إلينا ما يُشاع من أنَّ جماعة التبليغ أحسن الجماعات خلقًا.

وقد رأيتُ بعض التبليغيين والحركيين وأمثالهم يصف أهل السنة بسوء الخلق، لأنهم يردون على فلان، ويهجرون فلانًا، فيقال: إن هجرَ من يستحق الهجر هو عين الخلق؛ لأنَّ خلقه خلقٌ دينيّ، وهو منضبط بالضوابط الشرعية، إلى غير ذلك.

المقدمة السادسة: قد كفانا الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه السلف الصالح من أن نحتاج إلى كتب غربية مترجمة في بيان حسن الخلق من الصبر أو الحلم، أو عدم الحزن أو عدم اليأس، أو نفع الآخرين، أو كسب الأصدقاء.

فمن الخطأ والنقص أن نعتمد على كتب هؤلاء الغربيين الكافرين ونعرض عما جاء به الوحي صافيًا عذبًا زلالًا، يجب أن نوقن أن ما عندنا كاف، وفي معالي الأمور ومحاسنها جامع.

أما بعد: فهذه الرسالة رسالةٌ مفيدة وفي حسن الخلق جليلة، وقد حاولت أن أُقرِّبها في قواعد حتى تسهل ويمكن التنبيه على مهماتها، ويوجد في هذه الرسالة أحاديث ضعيفة، ولن أقف معها لأنَّ التصحيح والتضعيف نسبي، لاسيما والمعنى العام الذي يذكره معنًى ثابت وقد أُشير إلى ضعف بعض الأحاديث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم خواص عباده بالألفة في الدين، ووفقهم لإكرام عباده المخلصين، وزينهم بالأخلاق الكريمة والشيم الرضية، تأدبًا بأفضل البشرية، وسيد الأمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ.

اعلم أيها الأخ الصالح - أصلح الله شأننا - أن لأدب الصحبة وحسن العشرة أوجهًا، وأنا مبين منها ما يدل العاقل على أخلاق المؤمنين وآداب الصالحين، ويعلم أن الله - سبحانه وتعالى - جعل بعضهم لبعض رحمةً وعونًا، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائرهُ بالحمى والسهر).

وقال عليه السلام: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا).

وقال عليه السلام: (الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الأرواح تلاقى في الهوى فتشام، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف).

فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا وفقه لمعاشرة أهل السنة والصلاح والدين، ونزهه عن صحبة أهل الأهواء والبدع المخالفين.

وقال عليه السلام: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل).

ولبعضهم:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينِهِ... فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

ومن كلام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه ورضي عنه:

وَلا تَصحَب أَخا الجَهلِ... وَإِياكَ وَإِيَّاهُ

فَكَم مِن جاهِلٍ أَردى... حَليمًا حينَ يَلقاهُ

يَقاسُ المَرءُ بِالمَرءِ... إِذا ما هُوَ ماشاهُ

وَلِلشَّيءِ عَلى الشَيءِ... مَقاييسُ وَأَشباهُ

وَلِلقَلبِ عَلى القَلبِ... دَليلٌ حينَ يَلقاهُ

الشرح:

قوله: (فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا وفقه لمعاشرة أهل السنة والصلاح والدين، ونزهه عن صحبة أهل الأهواء والبدع المخالفين) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلاحظ كيف أنه أكَّدَ على صُحبة ومعاشرة أهل السنة دون أهل البدعة.

وسأحاول أن أجعل أهم ما في هذه الرسالة في قواعد:

القاعدة الأولى: مصاحبةِ أهل السنة دون أهل البدعة.

فإنَّ السلف يُبدِّعون بمصاحبة أهل البدعة، وقد أجمعوا على ذلك كما حكاه ابن بطة في الإبانة الكبرى.

القاعدة الثانية: مصاحبة صالحي أهل السنة دون طالحيهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

آداب العشرة

فمن آداب العشرة:

حسن الخلق مع الإخوان والأقران والأصحاب، اقتداءً برسول الله ﷺ فإنه قال، وقد قيل له: ما خير ما أعطي المرء؟ قال: (حسن الخلق).

ومنها تحسين ما يعانيه من عيوب أصحابه؛ فقد قال ابن مازن: (المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم)، وقال حمدون القصار: (إذا زل أخ من إخوانك، فاطلب له تسعين عذرًا، فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب).

ومنها معاشرة الموثوق بدينه وأمانته ظاهرًا وباطنًا. قال الله تعالى: (لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسولَهُ) الآية.

وللمعاشرة أوجه: فللمشايخ والأكابر: بالحرمة والخدمة والقيام بأشغالهم. وللأقران والأوساط: بالنصيحة وبذل الموجود والكون عند الأحكام، ما لم يكن إثمًا.

وللمريدين والأصاغر: بالإرشاد والتأدب والحمل على ما يوجبه العلم، وآداب السنة، وأحكام البواطن، والهداية إلى تقويمها بحسن الأدب.

ومنها الصفح عن عثرات الإخوان، وترك تأنيبهم عليها. قال الفضيل بن عياض: (الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان)، فكما يجب على العبد الأدب مع سيده، يجب عليه معاشرة من يعينه عليه. قال بعض الحكماء: (المؤمن طبعًا وسجية)، وقال ابن الأعرابي: (تناسى مساوئ الإخوان يدم لك ودهم).

وواجب على المؤمن أن يجانب طلاب الدنيا، فإنهم يدلونه على طلبها ومنعها، وذلك يبعده عن نجاته ويقظته عنها، ويجتهد في عشرة أهل الخير وطلاب الآخرة؛ ولذلك قال ذو النون لمن أوصاه: (عليك بصحبة من تسلم منه في ظاهرك، وتعينك رؤيته على الخير، ويذكرك مولاك).

الشرح:

قوله: (حسن الخلق مع الإخوان والأقران والأصحاب، اقتداءً برسول الله ﷺ فإنه قال، وقد قيل له: ما خير ما أعطي المرء؟ قال: (حسن الخلق)).

القاعدة الثالثة: الحرص على حُسن الخلق، فهو خير ما أُعطي المرء.

قوله: (ومنها تحسين ما يعانيه من عيوب أصحابه؛ فقد قال ابن مازن: (المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم)، وقال حمدون القصار: (إذا زل أخ من إخوانك، فاطلب له تسعين عذرًا، فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب)) هذا أمرٌ مهم، فإن كثيرًا من الخلافات والخصومات بسبب عدم الإعذار، فينبغي أن نجتهد

في الإعذار لإخواننا من أهل السنة، فحاول أن تعتذر له ما استطعت، وإذا ضاق بك الخناق فقف وقل: لعل له عذرًا لا أستحضره.

وهذا من مهمات حسن الخلق؛ فإنَّ كثيرًا من الخلاف بين أهل السنة فضلًا عن غيرهم هو بسبب عدم الإعذار.

القاعدة الرابعة: تطلب الأعذار للإخوة من أهل السنة ما أمكن ما لم تترتب عليه مفسدة.

ومن الأعذار التي لا تصح إعذار من يكرر زيارة أهل البدع فيكرر رجل من أهل السنة زيارة أقوام من أهل البدعة ثم يعتذر له بعض الطيبين -ولا أحب أن أقول من المغفلين-وكان الواجب بدل الإعذار أن يُبادروا بنصحه، بل إنَّ بعض الناس يبلغ به التعصُّب أن يرد قواعد أهل السنة في وجوب هجر أهل البدع والرد عليهم وعدم مصاحبتهم حتى لا يلحق صاحبهُ شيءٌ من الشين وغير ذلك، فإذن تطلب العذر له ما لم تترتب عليه مفسدة دينية.

وقد رأيت من بعض الناس يقول: كيف يُلام فلان أو فلان على زيارة فلان من أهل البدع أو من التكفيريين أو الإخوانيين أو الحزبيين أو الصوفية ... وقد زار العالم فلان فلانًا من أهل البدعة؟

فيقال: أولًا: فعل العالم خطأ، والخطأ لا يصحح. ثانيًا: فرقٌ بين الرجل الذي عُرف بالسنة واشتهر بالرد على المخالفين والغيرة عليها، ثم تُذكر له زيارة هنا أو هناك، فمثل هذا يُتطلَّب له العذر لأنه معروف بالسنة قبلُ وبعدُ، وبين من ليس كذلك، فليسا سواءً، لكن التعصُّب أهلك الكثيرين فينبغي الحذر من التعصُّب.

قوله: (**ومنها معاشرة الموثوق بدينه وأمانته ظاهرًا وباطنًا. قال الله تعالى: (لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللهِ وَاليَومِ الأَخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسولَهُ)**) أي الاستدلال من جهة مفهوم المخالفة، وهو أنهم يُوادّون من أطاعَ الله ورسولَهُ.

القاعدة الخامسة: لا تُعاشر إلا الموثوق بدينه ظاهرًا وباطنًا.

قوله: (**وللمعاشرة أوجه ...**) يريد أن يُبيِّن أنَّ طريقة المعاشرة تختلف بحال المُعاشَر، كلٌّ بحسب حاله، فينبغي أن يكون المرء فقيهًا فيه، ففرقٌ بين مصاحبة صاحبك الذي تراهُ كل يوم، وبين مصاحبة عالمٍ زرتهُ، وبين مصاحبة رجل له مكانة من أميرٍ أو مسؤولٍ أو غير ذلك، فزيارة هذا تختلف عن زيارة هذا، ومعاشرة هذا تختلف عن معاشرة هذا، والحكمة وضعُ الشيء في موضعه.

وفرقٌ بين مجلس انبساط وقيل وقال يجمعك مع أصحابك، وبين ما ليس كذلك، فينبغي أن يكون المرء عاقلًا وذا فقهٍ في التعامل مع الناس.

قوله: (**فللمشايخ والأكابر: بالحرمة والخدمة والقيام بأشغالهم. وللأقران والأوساط: بالنصيحة وبذل الموجود والكون عند الأحكام، ما لم يكن إثمًا، وللمريدين والأصاغر: بالإرشاد والتأدب والحمل على ما يوجبه العلم، وآداب السنة، وأحكام البواطن، والهداية إلى تقويمها بحسن الأدب**).

فإذن فرقٌ بين أن تُعاشر المشايخ والأكابر وأن تُعاشر الأقران، وبين معاشرتك لأصحابك ومن يدرسون عليك وهو عبَّر بلفظ "**المريدين**" وهو شائع عند الصوفية.

القاعدة السادسة: معاشرة كل أحدٍ بحسبهِ، سواءٌ كان صغيرًا أو كبيرًا، عزيزًا أو وضيعًا.

قوله: (**قال الفضيل بن عياض: (الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان)**) الفتوة: معناها هنا بما يقارب معنى الكمال، أي الكمال في الأخلاق، فالكمال في شيء هو فتُوَّتهُ، كما بينه القاضي عياض.

قوله: (**قال بعض الحكماء: (المؤمن طبعًا وسجية)**) هذا -والله أعلم- فيه خطأ؛ والموجود في الحاشية: (**المؤمن طبعه وسجيَّته الصفحُ عن العثرات**) وهو الذي يتلاءم.

قوله: ((وقال ابن الأعرابي: (تناسى مساوئ الإخوان يدم لك ودهم)) وهذا كلام عظيم، فتناسى عثراتهم وأخطائهم، وتناسي أخطاء الإخوة سببٌ للود ودوامه، أما كلما أخطأ عليك رجل كبَّرتهُ ولم تنسهُ ثم أخذتَ تلومهُ، فهو سبب عظيم للفراق، ولن تجد أحدًا كاملًا، وكما غيرك يُخطئ عليك تأكد أنك تُخطئ على غيرك، لكن لا يشعر بالخطأ إلا المصفوع والمضروب، فبما أنك ضارب فلن تشعر به، وتأكَّد أنه كما تأذَّيت بضربة وصفعة أخيك فقد صفعتهُ وغيره مرات وكرات، لكن الصافِع ينسى.

فلذا إذا أردت أن تدوم لك محبةٌ وأخوة فتناسى زلَّات وأخطاء الإخوة.

القاعدة السابعة: الصفح عن عثرات الإخوة وتركُ لومهم وعتابهم.

قوله: ((وواجب على المؤمن أن يجانب طلاب الدنيا، فإنهم يدلونه على طلبها ومنعها، وذلك يبعده عن نجاته ويقظته عنها، ويجتهد في عشرة أهل الخير وطلاب الآخرة؛ ولذلك قال ذو النون لمن أوصاه: (عليك بصحبة من تسلم منه في ظاهرك، وتعينك رؤيته على الخير، ويذكرك مولاك)) ما أحسن هذا الكلام، ومثلهُ يُكتب بماء الذهب.

ومما نُبتلى به أننا نُجالس الأقارب، وقد يرى الرجل من والديه تذكيرًا له بدنياه، وهما مُحبان له، وجُبل الوالدان على مثل هذا، ثم الإخوة والأخوات ...إلخ، فإذا كنا نُذكَّر بالدنيا مع أهالينا ومع أصحابنا فمن يُذكرنا بالدين؟

فلذلك ابتعد عمَّن يُذكرك بدنياك، وما أحسن أن يكون طالب العلم غافلًا عن دنياه، غافلًا عن الملابس وأنواعها، وغافلًا عما يتنافس عليه أهل الدنيا، وليس له تعلُّقٌ إلا بدينه وما يؤدي إليه، وبعض طلبة العلم يسبق أهل الدنيا في معرفة تفاصيل أمور الدنيا، لا شك أنَّ ما ينفعك وتحتاج إليه من المهم أن تعرفه، لكن بلا إفراط ولا تفريط، ولا يكون هم الإنسان تتبُّع أمور الدنيا، فنحن محتاجون لمن يُذكرنا الآخرة.

قال الله لمحمد ﷺ: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨] إذن نحتاج إلى من يُذكرنا الآخرة، لا أن ينافسنا على دنيا كالملابس والسيارات وغير ذلك.

ومن لطيف ما ذُكِرَ عن العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) أنه كان يلبس نعالين، الأولى مختلفة عن الثانية، وهو لا يُميِّز! حتى ذُكر أنه لا يُميِّز العملة الورقية، فلا يعرف الفرق بين الخمسين والخمسمائة والمائة ...إلخ، لغفلته عن هذه الدنيا، واليوم نحن نُميزها بالرائحة، بل إنَّ الأعمى يُميِّز العملة، وكيف

مثل هذا العالم البصير الذي أوتي ما أوتي من البصر والبصيرة وهو غافل عن مثل هذا.

المفترض أن نكون بلهاء في الدنيا مع حرصنا على ما ينفعنا، كما روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»، فتجمع المال لما تحتاج إليه من مسكن أو زواج في المستقبل أو القيام بالحاجات، ومثل هذا لا يضر، ففي البخاري أنَّ النبي ﷺ ادَّخر قوت سنة لأهله، فلا إفراط ولا تفريط، لكن الانشغال بالكماليات والتنافس في الملابس والسيارات والجوالات وغير ذلك غلط، فإن أتاك شيءٌ حسن فالبسه ولا تتطلَّب وتبحث وتُعلق قلبك، فبعض الناس عينه واسعة، ما إن يرى شيئًا من الدنيا إلا وترى فيه التفاتة ملحوظة.

فلنحاول أن نُصغِّر الدنيا في قلوبنا وأن نُعظِّم الآخرة وأن نستفيد من الدنيا بقدر حاجتنا، ومن كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (الوصية الصغرى): ينبغي أن يكون المال كالخلاء، فأنت مضطر إليه مع بغضك له. وهذا أمر عظيم يحتاج إلى مجاهدة، فلا إفراط ولا تفريط.

القاعدة الثامنة: ترك مصاحبة أهل الدنيا حتى لا يُعلِّقوا القلوب بها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها قلة الخلاف للإخوان، ولزوم موافقتهم فيما يبيحه العلم والشريعة. قال أبو عثمان: (موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم).

ومنها أن يحمدهم على حسن ثنائهم، وإن لم يساعدهم باليد، لقوله عليه السلام: (نية المؤمن أبلغ من عمله). قال علي كرم الله وجهه: (من لم يحمل أخاه على حسن النية، لم يحمده على حسن الصنعة).

ومنها ألا يحسدهم على ما يرى عليهم من آثار نعمة الله، بل يفرح بذلك، ويحمد الله على ذلك كما يحمده إذا كانت عليه؛ فإن الله تعالى ذم (الحاسدين) على ذلك بقوله: (أَم يَحسُدُونَ الناسَ عَلى ما آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ)، وقال عليه السلام: (كاد الحسد أن يغلب القدر)، وقال: (لا تحاسدوا).

ومنها ألا يواجههم بما يكرهون، فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك.

ومنها ملازمة الحياء في كل حال، لقوله عليه السلام: (الإيمان بضعة وسبعون - أو وستون - بابًا، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان). وقال رجل للنبي عليه السلام: أوصني، قال: (استحيي من الله عز وجل كما تستحيي رجلًا من صالح قومك). وقال: (الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار).

ومن المعاشرة صدق المروءة وصفاء المحبة، فإنها لا تتم إلا بهما.

ومنها بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكبر، وملازمة الحرمة، وإظهار الفرح بما رزق من عشرتهم وأخوتهم.

الشرح:

قوله: (ومنها قلة الخلاف للإخوان، ولزوم موافقتهم فيما يبيحه العلم والشريعة. قال أبو عثمان: (موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم)) الله أكبر! هذا كلام عظيم، لاحظ أنه أتى بقيد مهم وهو قوله: (فيما يبيحه العلم والشريعة) أي ينبغي أن توافق إخوانك وألا تخالفهم، وبعض الناس مطبوع على المخالفة، حتى إذا طرحت رأيًا تتوقع ألا يُخالف إلا هو، ثم يتبيَّن أن هو المخالف، فالشيء الذي ليس فيه حرام ولا حلال الأمر فيه سهل، وإذا كنت معتقدًا أنَّ عندك رأيًا لم يهتدوا إليه فأبنه بلا مصارعة، قل رأيي كذا واذكر حُجَّتك وانتهى الموضوع.

ففي البخاري ومسلم أنَّ النبي ﷺ أرسل معاذًا وأبا موسى إلى اليمن وقال: «تطاوعا ولا تختلفا».

القاعدة التاسعة: موافقة الإخوة وعدم مخالفتهم، ما لم يُعارض شرع الله.

لذلك قال: (موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم) بعض الناس شفيقٌ على إخوانه وقد تدعوه الشفقة إلى مخالفتهم، فيقول هذا أحسن لهم وأنفع لهم

فيُخالفهم، وموافقة الإخوة خير من الشفقة عليهم، وخير الأمرين الجمع بينهما وألا تُقدَّم الشفقة المزعومة على مخالفتهم وألا تكون الشفقة سببًا لمخالفتهم.

قوله: (**ومنها أن يحمدهم على حسن ثنائهم، وإن لم يساعدهم باليد، لقوله عليه السلام: (نية المؤمن أبلغ من عمله). قال علي كرم الله وجهه: (من لم يحمل أخاه على حسن النية، لم يحمده على حسن الصنعة)**).

مرادهُ بهذا: أنَّ أخاك إذا أثنى عليك وذكرك بخير فقابلهُ بالشكر، إن استطعت بشكرٍ عمليٍّ وإلا يكفي الشكر القولي، وبعض الناس يقول: هو صحيح أثنى عليَّ ولا داعي أن أشكره لأنني أصلًا أستحق الثناء، فعلى ماذا أشكره؟ تصور إلى أي درجة بلغ بعضهم!

فإذا أثنى عليك أخوك فقل: أسأل الله أن يتوب علينا جميعًا. واشكره وقابله بالمثل، لأنَّ هذا إحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

وفي النسخة قوله: (**كرم الله وجهه**) وقد ذكر ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب أنَّ ذكر مثل هذا في حق عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أدخله النُّساخ.

القاعدة العاشرة: مقابلة ثناء الأخ بالشكر والحمد.

قوله: (**ومنها ألا يحسدهم على ما يرى عليهم من آثار نعمة الله، بل يفرح بذلك، ويحمد الله على ذلك كما يحمده إذا كانت عليه؛ فإن الله تعالى ذم (الحاسدين) على**

ذلك بقوله: (أَم يَحسُدُونَ الناسَ عَلى ما أَتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ)، وقال عليه السلام: (كاد الحسد أن يغلب القدر)، وقال: (لا تحاسدوا)).

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الاقتضاء) أنَّ الحسد في العلم من صفة اليهود، كما قال سبحانه: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٥٤] لذلك ينبغي أن نكون حذرين من الحسد، وحقيقة الحسد: اعتراضٌ على القدر؛ لأنَّ الذي فتح على أخيك وأكرمه بنعمة دينية أو دنيوية هو رب العالمين، فهو اعتراضٌ على القدر، بل أنت مُطالب شرعًا من باب الكمال أن تفرح بالنعمة على أخيك كما لو كانت عليك، وهذه درجة عالية نسأل الله أن يمن علينا بها وأكثر، إنه أرحم الراحمين.

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ كثيرًا من أهل البدع يعدُّون ردَّ أهل السنة عليهم حسدًا، ويريدون أن يصدوا أهل السنة عن الردود عليهم وبيان عوارهم، فلا يجدون حُجَّة إلا أن يقولوا إنَّ فلانًا حاسد.

فيقال -تنزُّلًا- إنَّ الرَّاد حاسد، لكنَّ صاحبكم المردود عليه أليس مخطئًا ويجب أن يرجع عن خطئه؟ ويجب أن يُشكر فلان على قيامه بهذا الواجب؟ هذا أولًا، وثانيًا: قد أكثرتم القيل والقال في عدم الكلام في النيات، ويُرد على أخطائكم الظاهرة وتقولون هذا قدح في النيات، مع أنَّ هذا قدح في الظاهر، والآن تقدحون في الرادّين عليكم بحُجَّة أنهم حَسَدَة، وهذا قدحٌ في النية.

فالمقصود أنَّ الحسد حرام وهو اعتراض على القدر، وفي المقابل لا يصح أن يُزهَّد من ردود أهل السنة على المخطئين من أهل السنة أو على أهل البدع بحُجَّة أنهم حسدَة، فإنَّ هذا قدحٌ في النية.

القاعدة الحادية عشرة: لا يجوز لأحدٍ أن يحسد إخوانه على نعمةٍ دينيةٍ أو دنيوية.

قوله: (**ومنها ألا يواجههم بما يكرهون، فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك**) أنا لا أذكر حديثًا صحيحًا فيه نهيُ النبي ﷺ عن ذلك، وإنما روى أحمد عن أنس أنَّ النبي ﷺ كان يكره أن يُواجه الرجل في وجهه بما يكرههُ، وهذا من حيائه الحياء المحمود وخلقه ﷺ.

القاعدة الثانية عشرة: عدم مواجهة الإخوة بما يكرهون، وهذا داخلٌ في قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾.

قوله: (**ومنها ملازمة الحياء في كل حال، لقوله عليه السلام: (الإيمان بضعة وسبعون - أو وستون - بابًا، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان). وقال رجل للنبي عليه السلام: أوصني، قال: (استحيي من الله عز وجل كما تستحيي رجلًا من صالح قومك). وقال: (الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار)**).

والحياء أمرهُ عظيم، وهو سببٌ مهم من أسباب حُسن الخلق، وإنَّ الحياء كله خير، ففي البخاري ومسلم عن عمران قال: قال ﷺ: «**دعهُ فإنَّ الحياء لا يأتي إلا بخير**»، لذلك من العلماء من قال: الحياء كلهُ خير والمذموم منه لا يسمى حياءً وإنما يسمى خجلًا، ومنهم من قسَّم الحياء إلى قسمين، وظاهر الأدلة أنَّ الحياء كله خير، وأنَّ الحياء المذموم الذي يؤدي إلى ترك واجب أو فعل معصية أو ترك سنة أو فعل مكروه أو ما يُخالف المروءة وما جاءت به الشريعة، فهذا يسمى خجلًا ولا يسمى حياءً.

لذلك من رزقه الله حياءً لا يحب أن يؤذي غيره، وعدم أذية الآخرين بابٌ كبير من أبواب حسن الخلق، فمثلًا يعذرهم ولا يحب أن يواجههم بما يكرهون، ولا يسمعوا منه إلا كلامًا طيِّبًا ولا يرون منه إلا فعلًا طيِّبًا ...إلخ، هذا كله يدفعه إليه الحياء، لذلك قال ﷺ: «**دعه فإنَّ الحياء لا يأتي إلا بخير**».

وأؤكد: مع شدَّة حياء رسول الله ﷺ كما تقدم لم يكن مانعًا من الصدع بالحق والرد والهجر.

القاعدة الثالثة عشرة: ملازمة الحياء، فهو لا يأتي إلا بخير.

قوله: (**ومن المعاشرة صدق المروءة وصفاء المحبة، فإنها لا تتم إلا بهما**) صدق، فإذا أحببت أخًا لك في الله فلتكن صادقًا في حبه، ولا تكن في حبه دائرًا مع المصالح،

والمصالح مختلفة، فتارةً مصلحة دنيوية بمال والجاه، وتارةً بالأُنس، فبعض الناس يُصاحب أقوامًا لأُنسهم فحسب، لأنه مزَّاح وذو ضحك ...إلخ، فاجعل مصاحبتك لأخيك لله ولتكن محبتك صافية.

وهذا لا يتنافى مع الاستفادة من الأخ في أمور الدنيا إذا احتجت إلى ذلك كما هو يستفيد منك إذا احتاج إلى ذلك، لكن أن يكون الدافع هذا الأمر فهذا غلط، لذلك مما يتميَّز به المتدينون -ولله الحمد-أنَّ حبهم لإخوانهم محبةٌ دينية، فيقفون مع إخوانهم إذا احتاجوا، لأنَّ الذي يدفعهم إلى ذلك الدين، وأحيانًا يرد في خاطري وأتأمَّل بعض المصائب من السجن والمصائب التي تحصل للناس بأن يُصاب بمرض أو بشيء في ولده، فأتفكَّر في أولئك الكافرين أو من شابههم من الليبراليين والعلمانيين، يا ترى ما الذي يُجبر مصابهم إذا لم يكن هناك استشعار للأجر والاحتساب؟ إذا استشعر المصاب المتدين أنَّ الله لا يقضي إلا خيرًا وأنَّ هذا باب من أبواب الأجر وتكفير الذنوب ...إلخ، زاد أُنسًا وخفَّف المصيبة، بل قد يُزيلها، بل قد يقلب النقمة إلى نعمة.

القاعدة الرابعة عشرة: صفاء المحبة وصدق المروَّة في المعاشرة.

قوله: **(ومنها بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكبر، وملازمة الحرمة، وإظهار الفرح بما رزق من عشرتهم وأخوتهم)** وهذا مهم للغاية، منها ما يتداخل مع ما تقدم من البشاشة واللطف، لكن من

لطيف ما ذكره هنا قوله: (**وإظهار الفرح بما رزق من عشرتهم وأخوتهم**) وهذا مهم، أن تُظهر الفرح بصحبة صاحبك، فإنك إن أظهرت الفرح له أظهر الفرح لك وبادلك الشعور نفسه.

فلذلك تُظهر الفرح وتقول: أحمد الله أن منَّ عليَّ بمثلك يُعينني على ذكره ويُذكرني ...إلخ، فهو سيُبادلك مثل هذا وستجد منه صدقًا لأنه رأى منك صدقًا وفرحًا.

القاعدة الخامسة عشرة: إظهار الفرح للأخ بكل صوره، ومنها الفرح بعشرته.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها ألا يصحب إلا عالمًا، أو عاقلًا فقيهًا حليمًا. قال ذو النون رحمة الله عليه: (ما خلع الله على عبدٍ من عبيده خلعةً أحسن من العقل، ولا قلده قلادةً أجمل من العلم، ولا زينه بزينةٍ أفضل من الحلم، وكمال ذلك التقوى). وقال عليه السلام: (من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين).

ومنها سلامة قلبه للإخوان، والنصيحة لهم، وقبولها منهم، لقوله تعالى: (إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بِقَلبٍ سَليمٍ). وقال السقطي رحمه الله: (من أجل أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم).

ومنها ألا يعدهم ويخالفهم، فإنه نفاق. قال عليه الصلاة والسلام: (علامة المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان). وقال الثوري رحمه الله: (لا تعد أخاك وتخلفه فتعود المحبة بغضة). وأنشدوا:

يا واعِدًا أَخلفَ في وَعدِهِ... ما الخُلفُ مِن سيرَةِ أَهلِ الوَفا

ما كانَ ما أَظهَرتَ مِن وُدِّنا... إِلّا سِراجًا لاحَ ثُمَ اِنطَفا

ومنها صحبة من يستحيا منه ليزجره ذلك عن المخالفات؛ فقال قال عليٌّ كرم الله وجهه: (أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه). وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: (ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه).

ومنها أن يراعي في صحبة إخوانه صلاحهم لا مرادهم، ودلالته على رشدهم لا على ما يحبونه. قال أبو صالح المزي، رحمه الله: (المؤمن من يعاشرك بالمعروف، ويدلك على صلاح دينك ودنياك، والمنافق من يعاشرك بالمماذعة، ويدلك على ما تشتهيه، والمعصوم من فرق بين الحالين).

ومنها ألا تؤذي مؤمنًا، ولا تجاهل جاهلًا؛ لقوله عليه السلام: (إن الله يكره أذى المؤمن). وقال الربيع ابن خيثم رحمه الله: (الناس رجلان، مؤمن فلا تؤذه، وجاهلٌ فلا تجاهله).

ومنها مطالبة الإخوان بحسن العشرة حسب ما يعاشرهم به؛ لقوله عليه السلام: (لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). قال الحكيم: (صفوة العشرة للخلق، رضاك عنهم بمثل ما تعاشرهم به). وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله: (اطلب الفضل بالإفضال منك، فإن الصنيعة إليك كالصنيعة منك).

ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه).

ومنها حمل كلام الإخوان على أحسن الوجوه ما وجدت ذلك. قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: (كتب إليَّ بعض إخواني من الصحابة أن ضع أمر أخيك على الأحسن ما لم تغلب).

ومنها معرفة اسم الإخوان وأسماء آبائهم لئلا تقصر في حقوقهم؛ فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: رآني النبي ﷺ ألتفت، فقال: (إلام تلتفت؟) قلت: إلى أخ لي أنا في انتظاره، فقال رسول الله ﷺ: (إذا أحببت رجلًا فسله عن اسمه، واسم أبيه وجده وعشيرته ومنزله، فإن مرض عدته، وإن استعان بك أعنته).

ومنها مجانبة الحقد، ولزوم الصفح، والعفو عن الإخوان. قال هلال بن العلاء: (جعلت على نفسي ألا أكافئ أحدًا بشرٍ ولا عقوقٍ اقتداءً بهذه الأبيات:

لمّا عَفَوتُ وَلَم أَحقِد عَلى أَحَدٍ... أَرَحتُ نَفسِيَ مِن غَمّ العَداواتِ

إِنّي أُحيّي عَدُوّي حينَ رُؤيَتِهِ... لِأَدفَعَ الشَرَّ عَنّي بِالتَحيّاتِ

وأَظهِرُ البِشرَ لِلإِنسانِ أَبغِضُهُ... كَأَنَّهُ قَد حُشيَ قَلبي مَسَرّاتِ

وأنشد أحمد بن عبيد عن المدائني:

وَمَن لَم يُغمّض عَينَهُ عَن صَديقِهِ... وَعَن بَعضِ ما فيهِ يَمُت وَهُوَ عاتِبُ

وَمَن يَتَتَبَّع جاهِدًا كُلَّ عَثرَةٍ... يَجِدها وَلا يَسلَم لَهُ الدَهرَ صاحِبُ

الشرح:

قوله: (ما خلع الله على عبدٍ من عبيده خلعةً أحسن من العقل) ما خلَعَ: أي ما أنعمَ، يعني: ما أنعم الله على عبدٍ من عبيده نعمةً أحسن من العقل.

قوله: (وقال عليه السلام: (من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين))

نسأل الله أن يجعلنا وإخواننا صالحين يا رب العالمين.

ينبغي أن يُعلم أنَّ هناك فرقًا بين سرعة الحفظ وقوة الفهم والعقل، العقل: شيءٌ مُغايرٌ للفهم والحفظ، فالعقل: حُسن التدبير وحُسن التعامل، أما سرعة الحفظ شيءٌ ودقة الفهم شيء، فقد يكون الرجل سريع الحفظ دقيق الفهم لكن لا عقل له، وقد يكون بطيء الحفظ قليل الفهم لكنه ذو عقل، وذو العقل لا يُخشى منه؛ لأنه يحفظ الجميل ويعرف كيف يتعامل مع الأمور ويضع الأمور في موضعها، ولا تراه عجلًا، ويزن الأمور وليس صاحب ردَّة أفعال، وليس صاحب انتقام ويزن الأمور بعقله.

والعقل قد يكون غريزيًّا وقد يكون مُكتسبًا، وقد يكون الأمرين، وقد ذكر ابن تيمية في (الاستقامة) أنَّ العقل غريزي ومكتسَب، فقد يرثهُ من أبيه أو من جده أو من خاله، كما يرث بنو آدم من أصولهم من جهة الآباء والأمهات أخلاقًا وصفات في الخلق والخِلقة، وقد يكون مُكتسبًا، ويحاول أن يُنمِّي عقله مع وقائع الحياة، كلما وقعَت واقعة تدبَّرها وأخذ منها فائدة، فيُنمِّي عقلهُ، فالمقصود أنَّ العقل شيء عظيم وهو غير الفهم والحفظ، فلذلك ينبغي أن يُحرَص في الصحبة على العاقل.

ومن كلمات الناس الشائعة: عدوٌّ عاقل ولا صديقٌ جاهل. وصدقوا؛ فالصديق الجاهل ليس المراد به من لا علم له، المراد الذي لا عقل له، فهذا يُوردك الموارد ويُلحق بك الشين، ولا يُفرِّق بين المجالس ولا الناس، ولا يزن الأمور وما الذي ينبغي أن يُشاع عنك والذي ينبغي ألا يُشاع عنك، وهو قد لا يتعمَّد لكنه هكذا لأنه لا عقل له ولا يُميِّز.

القاعدة السادسة عشرة: مصاحبة العالِم أو العاقل الحليم.

قوله: ((**ومنها سلامة قلبه للإخوان، والنصيحة لهم، وقبولها منهم، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. وقال السقطي رحمه الله: (من أجل أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم)**)) نسأل الله أن يرزقنا القلب السليم، وأن يرزقنا سلامة الصدر يا رب العالمين.

أسعد الناس من كان سليم الصدر، أما من كان حقودًا حسودًا لا يتغافَل فإنه قد آذى نفسه وآذى غيره، فالرجل الذي يتناسى ينسى، وليس هناك ما يُشغله، أما من ليس كذلك فيُخطئ عليه فلان قبل شهر، فتبقى في قلبه ويبقى يعيش معها ليله ونهاره، ويُخطئ عليه فلان قبل أسبوع، فكذلك، ويتحرَّى الفرصة حتى ينتقم، فيعيش همًّا، لكن سليم الصدر إذا أخطأ عليه فنسيَ، نامَ سعيدًا وقام سعيدًا ومشى على أرض الله سعيدًا، ولقي الناس سعيدًا وفارقهم سعيدًا، فلذلك سلامة الصدر نعمة عظيمة ينبغي أن نجاهد أنفسنا على ذلك، نسأل الله الكريم من فضله.

ومن ذلك النصيحة، وأن يُبادر بنصح إخوانه وأن يقبل نصحهم له، لكن اتق الله وليكن دافعك في النصيحة الله والدار الآخرة مع مراعاة الأصلح لأخيك، وقد رأيت بعضهم يستغلّ المعاني الدينية في الانتقام لنفسه، فيجتمع الإخوة فيقول: من باب النصيحة أنت يا فلان فعلت كذا يومذاك فاتق الله... وهو لا يريد نصيحته وإنما يريد فضيحته، أو قد يكونون سويًّا لكنه يريد أن ينتقم منه باسم النصيحة، فاتق الله وابتغ بنصيحتك الله والدار الأخرة، وأوصلها لأخيك بأحسن طريقةٍ ممكنة.

القاعدة السابعة عشرة: سلامة الصدر والنصيحة للإخوة وقبول نصحهم.

قوله: **(ومنها ألا يعدهم ويخالفهم، فإنه نفاق)** أي نفاقٌ عمليّ، فإنَّ الجامع للنفاق الاعتقادي والنفاق العملي -ويُقال الأكبر والأصغر-: مُخالفة الباطن للظاهر، كما قاله الحسن البصري، لكن إن كانت المخالفة عقديَّة فهو أكبر، وإن كانت المخالفة فعليَّة وعمليَّة فهو أصغر، ومنه عدم الإيفاء بالوعد.

قوله: **(وأنشدوا: يا واعِدًا أَخلفَ في وَعدِهِ... ما الخُلفُ مِن سيرَةِ أَهلِ الوَفا. ما كانَ ما أَظهَرتَ مِن وُدِّنا... إِلّا سِراجًا لاحَ ثُمَ اِنطَفا)** لأنَّ من واعدَ رجَّى غيرهُ، فإذا لم يحصل ما رجَّى به غيره انقلب الحب إلى بغض.

تنبيه: خُلف الوعد الذي هو نفاق: هو أن يُضمر الخُلف مع الوعد، أما من واعدَ وفي نيته أن يفي ثم لم يفِ فلا يُعدُّ نفاقًا، فإضمار الخُلف مع الوعد هو كبيرة من كبائر الذنوب وهو النفاق العملي، فيقول: سآتيك، وفي نيته ألا يأتي، أما أن يعد وفي نيته أن يفعل ثم لا يفعل، فهذا مكروهٌ وليس محرمًا؛ لأنَّ الذي فيه مخالفة الظاهر للباطن هو ما تقدم ذكره، وهو أن يعد وفي نيته ألا يفعل، أما لو وعد وفي نيته أن يفعل لم يكن هناك مخالفة للظاهر مع الباطن.

ومن ذلك قول: إن شاء الله. فإنَّ بعض الناس يعِد بلفظٍ مُعلَّق بالمشيئة وفي نيته ألا يفعل، فمن قال: سآتيك إن شاء الله. وفي قلبه ألا يفعل فقد وقع في محرم، ذكره الأوزاعي ونقله عنه ابن رجب في كتابه (جامع العلوم والحكم).

القاعدة الثامنة عشرة: الإيفاء بالوعد سببٌ للمحبة وقوة الأخوّة.

قوله: **(ومنها صحبة من يستحيا منه ليزجره ذلك عن المخالفات؛ فقال قال عليٌّ كرم الله وجهه: (أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه). وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: (ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه))**.

إذن مصاحبة من يُستحيى منه معين على حسن الخلف؛ لأنك إذا صاحبته ستحرص على ألا تفعل إلا خيرًا وتكون مراقبًا لقولك وفعلك، وكلمة أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظيمة، وهذا ملحوظ، فإذا جالَس الرجل بعض أصحابه الذين لا يحتشم منهم أو

بعض أقاربه من إخوانه وأولاده ...إلخ، قد لا يُدقق ولا يكون متابعًا لنفسه، فيقع فيما لا يُرضي، وعلى هذا فقِس.

القاعدة التاسعة عشرة: صُحبة من يُستحيَى منه سببٌ لحسن الخلق والعِشرة.

قوله: (**ومنها أن يراعي في صحبة أخوانه صلاحهم لا مرادهم، ودلالته على رشدهم لا على ما يحبونه. قال أبو صالح المزي، رحمه الله: (المؤمن من يعاشرك بالمعروف، ويدلك على صلاح دينك ودنياك، والمنافق من يعاشرك بالمماذعة، ويدلك على ما تشتهيه، والمعصوم من فرق بين الحالين)**).

بالمماذعة: أي بالمخادعة، والمعصوم من فرَّق بين الحالين، أي يُعاشرك لإصلاحك، وهذا حق وينبغي أن نجمع بين محبة الأخ وعدم أذيته بقول أو فعل مع مناصحته وإرشاده، فلا تعارض بينهما.

القاعدة العشرون: الحرص على صلاح الإخوة وإرشادهم للخير، لا مخادعتهم في متابعة ما يهوون مما يضر أو لا ينفع.

قوله: (**ومنها ألا تؤذي مؤمنًا، ولا تجاهل جاهلًا؛ لقوله عليه السلام: (إن الله يكره أذى المؤمن). وقال الربيع ابن خيثم رحمه الله: (الناس رجلان، مؤمن فلا تؤذه، وجاهلٌ فلا تجاهله)**).

القاعدة الواحدة والعشرون: عدم أذية الإخوة بقولٍ أو فعل.

القاعدة الثانية والعشرون: **عدم مجاهلة الجاهل**، أي لا يُجادَل ولا يُناطح، وإنما يُعرَض عنه.

وهاتان القاعدتان عظيمتان، فاحرص ألا تؤذ أخاك، لا بقولٍ ولا بفعلٍ، فقد يحصل بين الإخوة منافسة ومناطحة فيحاول أحدهم أن تُجهِّل أخاه أمام الناس أو أن تُخطِّئه، وهذه أذية، فإنه يمكن أن تُبيِّن خطأه بأسلوب لا أذيَّة فيه، والأساليب كثيرة، والتعريض خيرٌ من التصريح كثيرًا، وتكلم على هذا الأصفهاني في كتابه (الذريعة إلى مكارم الشريعة) بكلامٍ عجيب على فوائد التعريض، وأنه خيرٌ من التصريح كثيرًا، لذلك يقول الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

قوله: (ومنها مطالبة الإخوان بحسن العشرة حسب ما يعاشرهم به؛ لقوله عليه السلام: (لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). قال الحكيم: (صفوة العشرة للخلق، رضاك عنهم بمثل ما تعاشرهم به). وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله: (اطلب الفضل بالإفضال منك، فإن الصنيعة إليك كالصنيعة منك)).

فكلما أردت أن تُعامل أحدًا بشيءٍ فترددتَ فضع نفسك مكانه، وهل ترضى بهذا؟ وهذا مفيد للغاية.

القاعدة الثالثة والعشرون: معاملة الإخوة بمثل ما تحب أن يُعاملوك من خير.

قوله: (**ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه)**).

إنَّ التوسيع لداخلٍ في المجلس يُؤثِّر في النفوس للغاية، فإذا دخلَ رجلٌ مجلسًا فلم يجد مكانًا أو وجد مكانًا ثم خصصته بين الناس ووسَّعت له، فهذا يؤثِّر كثيرًا في النفوس، ومثل ذلك أن تُناديه بأحب الأسماء إليه، إما بكنيته أو بغير ذلك.

القاعدة الرابعة والعشرون: الحرص على مودَّة الإخوة ومحبتهم.

قوله: (**ومنها حمل كلام الإخوان على أحسن الوجوه ما وجدت ذلك. قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: (كتب إليَّ بعض إخواني من الصحابة أن ضع أمر أخيك على الأحسن ما لم تغلب)**) وصدق، حُسن الظن ومنه الإعذار للأخ بما تيسَّر من الأعذار مطلبٌ شرعي، وهو سببٌ عظيم لدوام المحبة، والشيطان مع النفس الأمَّارة بالسوء تجعل الإنسان يُسيء الظن بأخيه، بل لا يحمله إلا على أسوأ محمَل، إذا طرق الباب وتأخَّر عليه أو واعدَهُ في وقتٍ فتأخَّر عليه، هناك احتمالات لا تُحصى، لكن تجده لا يجد من الاحتمال إلا احتمالين، وكلها أسوأ ما يكون.

فينبغي أن يُحمَل الإخوة على أحسن محمَل، وكذلك إذا طلَب منه مالًا فاعتذَر لم يحمل هذا إلا على أسوأ المحامِل، فينبغي أن نتقي الله وأن ندعَ النفس الأمَّارة بالسوء

والشيطان الرجيم، وأن نضع أنفسنا في مكان أخينا وأنه طلبَ منا مالًا فلم نُعطه، والسبب إما لقلة ذات اليد أو لغير ذلك من الأسباب الكثيرة.

قوله: (**ومنها معرفة اسم الإخوان واسم آبائهم لئلا تقصر في حقوقهم؛ فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: رآني النبي ﷺ ألتفت، فقال: (إلام تلتفت؟) قلت: إلى أخ لي أنا في انتظاره، فقال رسول الله ﷺ: (إذا أحببت رجلًا فسله عن اسمه، واسم أبيه وجده وعشيرته ومنزله، فإن مرض عدته، وإن استعان بك أعنته)**).

هذا الحديث لا يصح، لكن سبب السؤال هو أن تعرف مكانه لتعودهُ ولتساعده عند الحاجة، ولا ينبغي السؤال عن الأنساب وغيرها إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، أو غلَب على الظن أنَّ السؤال فيه لا يضر، أما إذا لم تدع الحاجة إلى ذلك أو لم يغلب على الظن أنَّ السؤال بمثله لا يضر، فلا ينبغي السؤال عن مثل ذلك، وإنما تسأل عنه بما ينفع لتعرف مكانه وغير ذلك لتعودهُ إذا مرِضَ أو تساعده إذا احتاج وغير ذلك.

القاعدة الخامسة والعشرون: معرفة اسم الأخ وما يدلُّ عليه للقيام بحقه.

وإنَّ مما يزيد المحبة أن تعرف اسم أخيك وبلده وغير ذلك، فيعرف أنك معتنٍ به، وقد يصحب الرجل الرجل سنة أو سنتين، فإذا سُئل أمام صاحبه: ما اسم صاحبك ومن أيِّ مكان؟ فلا يعرف عنه شيئًا! فيشعر صاحبه أنه غير مُبالٍ به.

قوله: (لَمّا عَفَوتُ وَلَم أَحقِد عَلى أَحَدٍ... أَرَحتُ نَفسِيَ مِن غَمّ العَداواتِ) تقدم أنَّ هذا من سلامة الصدر، وقوله: (إِنّي أُحيّي عَدُوّي حينَ رُؤيَتِهِ... لِأَدفَعَ الشَرَّ عَنّي بِالتَحيّاتِ) أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**»، وهذا يسمى شرعًا بالمداراة.

القاعدة السادسة والعشرون: ملازمة الصفح والعفو وترك الحقد على الإخوة يغلق باب العداوات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها ملازمة الأخوة، والمداومة عليها، وترك الملل؛ فقد قال النبي ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله أدومها، وإن قل). وقال محمد بن واسع: (وليس لملولٍ صديقٌ ولا لحاسدٍ غناءٌ).

ومنها الإغضاء عن الصديق في بعض المكاره، وينشد:

صَبَرتُ عَلى بَعضِ الأَذى خَوفَ كُلِّهِ... وَدافَعتُ عَن نَفسي بِنَفسي فَعَزَّتِ

فَيا رُبَّ عِزّ ساقَ لِلنَّفسِ ذُلَّها... وَيا رُبَّ نَفسٍ بِالتَذلُّلِ عَزَّتِ

وَجَرَّعتُها المَكروهَ حَتّى تَجَرَّعَت... وَلَو لَم أُجَرِّعها كَذا لاشمَأَزَّتِ

وأنشد ثعلب:

أُغمِّضُ عَيني عَن صَديقي تَجَسُّمًا... كَأَنّي بِما يَأتي مِن الأَمرِ جاهِلُ

وَما بِيَ جَهلٌ غَيرَ أَنَّ خَليقَتي... تُطيقُ اِحتمالُ الكُرهِ فيما تُحاوِلُ

ولبعضهم:

إِذا كُنتَ في كُلِّ الأُمورِ مُعاتِبًا... صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه

فَعِش واحِدًا أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ... مُقارِفُ ذَنبٍ مَرَّةً وَمُجانِبُه

إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِرارًا عَلى القَذى... ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه

ومنها ترك الاستخفاف بأحد من الخلق، ومعرفة كل واحد منهم ليكرم على قدره. قال ابن المبارك: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته).

الشرح:

قوله: (ومنها ملازمة الأخوة، والمداومة عليها، وترك الملل؛ فقد قال النبي ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله أدومها، وإن قل)) وذلك أنَّ الأخوة في الدين عبادة، فلذلك أورد فيها هذا الحديث.

قوله: (وقال محمد بن واسع: (وليس لملولٍ صديقٌ ولا لحاسدٍ غناءٌ)) بعض الناس ملول في صُحبته لإخوانه، يصحب هذا سنةً ثم يمَل ويُغيرهُ بآخر، فمثل هذا لا تدوم له الصحبة، فإذا وجدت صاحبًا أحببته وأحبَّك ويُعينك على الخير فاشدد عليه بل عُض عليه بالنواجذ، فقلَّ أن تجد ذلك، قد تجد من الناس الطيبين كثيرين، لكن قد لا تتوافق نفسك معه، فإنَّ الأرواح جنودٌ مجندة، فإذا اجتمع الأمران بأن يكون الرجل طيِّبًا في دينه مُعينًا لك على الخير وروحك ألِفَت لروحه فلا تدعه.

القاعدة السابعة والعشرون: المداومة على الأخوة وعدم الملل.

قوله: (صَبَرتُ عَلى بَعضِ الأَذى خَوفَ كُلِّهِ... وَدافَعتُ عَن نَفسي بِنَفسي فَعَزَّتِ) لاحظ صبرَ على بعض الأذى خوفًا من الأذى كله، فتحمَّل بعض الأذى لدفع الأذى كله، وهذا من العقل، وتقدم أنَّ هناك فرقًا بين الفهم والحفظ والعقل.

قوله: (وأنشد ثعلب: أُغمِّضُ عَيني عَن صَديقي تَجَسُّمًا... كَأَنّي بِما يَأتي مِنَ الأَمرِ جاهِلُ. وَما بِيَ جَهلٌ غَيرَ أَنَّ خَليقَتي... تُطيقُ اِحتمالُ الكُرهِ فيما تُحاوِلُ) الله أكبر! هذا يُكتب بماء الذهب، هو عالِم لكنه يتجاهل، وبعض الناس يؤتيه الله تحمُّلًا ولا يُقابل الخطأ بالخطأ ويصبر ويحلُم على صاحبه أو على الناس في أمورٍ كثيرة، وهذا خير عظيم أن يُؤتى الإنسان الصبر والحلم وألا يكون صاحب ردَّة فعل، خفيفًا طيَّاشًا وإنما يكون حليمًا صبورًا.

قوله: (ولبعضهم: إِذا كُنتَ في كُلِّ الأُمورِ مُعاتِبًا... صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه. فَعِش واحِدًا أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ... مُقارِفُ ذَنبٍ مَرَّةً وَمُجانِبُه. إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِرارًا عَلى القَذى... ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه) الله أكبر، هذا يقول لا أريد أن أشرب إلا ماءً صافيًا، ستظمأ وتموت، تارةً تجد ماءً صافيًا وتارةً تجد ماءً فيه قذى، وهكذا الحياة.

القاعدة الثامنة والعشرون: غضُّ الطرف عما يكره مما عند الإخوة.

قوله: (**ومنها ترك الاستخفاف بأحد من الخلق، ومعرفة كل واحد منهم ليكرم على قدره. قال ابن المبارك: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته)**) الله أكبر! هذه تُكتب بماء العيون لا الذهب.

فينبغي أن تعرف الناس وأن تُمايزهم، وأن تُعامل كل أحدٍ بحسب حاله، لذلك تركُ الاستخفاف وكلما علَت منزلة الرجل دينيًّا أو دنيويًّا كان الاستخفاف فه ضارًّا أكثر، والاستخفاف كله مذموم لكنه يكون أقبح إذا كان فيمن هو أكبر مكانةً دينيَّةً أو دنيويَّةً.

القاعدة التاسعة والعشرون: عدم الاستخفاف بأحدٍ من الناس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها ألا تقطع صديقًا بعد مصادقته، ولا ترده بعد قبول:

لا تَمدَحَنَّ اِمرًا حَتّى تُجَرِّبَهُ... وَلا تَذُمَّنَّهُ مِن غَيرِ تَجريبِ

فَإِنَّ حَمدَكَ مَن لَم تَبلُهُ سَرَفٌ... وَإِنَّ ذَمَّكَ بَعدَ الحَمدِ تَكذيبُ

قال حمدون القصار: (اقبلوا إخوانكم بالإيمان، وردوهم بالكفر؛ فإن الله سبحانه وتعالى أوقع ما بين هذين في مشيئته، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾).

ومنها ألا يضيع صداقة صديق بعد ود، فإنها عزيزة؛ وكتب عالم إلى من هو مثله: (أن اكتب لي بشيءٍ ينفعني في عمري)، فكتب إليه: (بسم الله الرحمن الرحيم. استوحش من لا إخوان له، وفرط المقصر في طلبهم؛ وأشد تفريطًا من ظفر بواحد منهم فضيعه؛ ولوجد أن الكبريت الأحمر أيسر من وجدانه؛ وإني أطلبه منذ خمسين سنة، ولم أجد إلا نصف صديق).

والناس ثلاثة: معرفة، وأصدقاء، وإخوان؛ فالمعرفة بين الناس كثيرة، والأصدقاء عزيزة، والأخ قلما يوجد.

ومنها التواضع للإخوان، وترك التكبر عليهم. قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل أوحى إليَّ أن تواضع حتى لا يفخر أحد على أحد).

وقال المبرد: (النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه العجب).

ومن جوامعها قول ابن الحسن الوراق، وقد سأل أبا عثمان عن الصحبة، قال: (هي مع الله بالأدب، ومع الرسول عليه السلام بملازمة العلم واتباع السنة، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بالبشر والانبساط وترك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة، قال الله تعالى: (خُذِ العَفوَ وَأمُرُ بِالعُرفِ) الآية، والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل).

ومنها حفظ المودة القديمة والأخوة الثابتة، لقوله عليه السلام: (إن الله يحب حفظ الود القديم)؛ ودخلت امرأةٌ على رسول الله ﷺ فأدناها، فقيل له في ذلك، فقال: (إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان؛ وقال محمد المغازلي رحمه الله: (من أحب أن تدوم له المودة، فليحفظ مودة إخوانه القدماء) ولبعضهم:

ما ذاقَتِ النَفسُ على شَهوةٍ... أَلَذَّ مِن حُبِّ صَديقٍ أَمين

من فاتَهُ وُدُّ أَخٍ صالِحٍ... فَذَلِكَ المَغبونُ حَقَّ اليَقين

ولبعض الحكماء من السلف: (عاشروا الناس، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم).

ومنها قول أبي عثمان الحيري، وقد سئل عن صحبة السلامة: (أن يوسع الأخ على أخيه من ماله، ولا يطمع فيما له، وينصفه، ولا يطلب الإنصاف منه، ويستكثر قليل بره، ويستصغر من منا به عليه).

ومنها إيثار الإخوان بالكرامة على نفسه. قال أبو عثمان: (من عاشر الناس، ولم يكرمهم، وتكبر عليهم، فذلك لقلة رأيه وعقله؛ فإنه يعادي صديقه، ويكرم عدوه، فإن إخوانه في الله أصدقاؤه، ونفسه عدوه).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك). وقال القاسم بن محمد: (قد جعل الله في الصديق البار عوضًا من الرحم المدبر).

ومنها معرفة حقوق الفقراء، والقيام بحوائجهم وأسبابهم. قال ابن أبي أوفى: (كان رسول الله ﷺ لا يأنف ولا يستكبر، أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي حاجتهما).

ومنها ملازمة الأدب مع الإخوان وحسن معاشرتهم؛ فقد قال الجنيد رحمه الله، إذ سُئل عن الأدب: (إنه حسن العشرة). والفرق بين عشرة العلماء والجهال قول

يحيى بن معاذ الرازي: (إن العلماء عبدوا الله بقلوبهم، والناس عبدوه بأبدانهم، والجهال عبدوه بألسنتهم، وهم عبدوه بقلوبهم وأبدانهم وألسنتهم).

الشرح:

قوله: (قال حمدون القصار: (اقبلوا إخوانكم بالإيمان، وردوهم بالكفر؛ فإن الله سبحانه وتعالى أوقع ما بين هذين في مشيئته، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾) أي اقبلوهم على قصورٍ فيهم، بما أنهم لا يزالون في حيِّز الإسلام، لذلك قال: (فإن الله سبحانه وتعالى أوقع ما بين هذين في مشيئته) المراد بالإيمان كمال الإيمان، والكفر أي لا إيمان، وما بينهما تحت مشيئتهِ سبحانه.

القاعدة الثلاثون: عدم قطعُ صديقٍ بعد مُصادقته ومَعاشرتهِ.

وهذا مهم، فبعض الناس كثيرُ التغيير للأصدقاء، اليوم مع صديق وغدًا مع صديق، وفي عمل مع صديق، ثم إذا انتقل إلى عملٍ آخر انتقل إلى صديقٍ آخر ...، هذا خطأ، فإذا وجدت صاحبًا وصديقًا مُعينًا على الخير ونفسك تطمئن إليه فلا تدعهُ، قد تجد عنده قصورًا ولا بُد، فحاول أن تغُضَّ الطرف عن قصورهِ وأن تكون سببًا لإصلاحه، فلا إفراط ولا تفريط.

وبعض الناس فعلًا لا صديق له؛ لأنه بلغة العصر **"حسَّاس"** أي ما جاءه من الناس صغُرَ أو كبُر كبُر في نفسه ولم يتغافل عنه، وليس سليم الصدر بل يبقى في صدره كدر، فمثل هذا لا يصفى له صديق.

وأيضًا بعض الناس بلغة العصر **"حقَّاني"** فكما يُعطي يأخذ، وكما يأخذ يُعطي، هذا أيضًا لا يصفى له صديق؛ لأنَّ الصداقة تعني المحبة، وهي أعلى من أمور الدنيا، فلا تعني المُحاقَّة وإنما تعني المحبة والمعاملة بالفضل لا المعاملة بالعدل، نسأل الله أن يُصلحنا وأن يتوب علينا وأن يُحسِّن أخلاقنا، إنه أرحم الراحمين.

قوله: (**ومنها ألا يضيع صداقة صديق بعد ود، فإنها عزيزة؛ وكتب عالم إلى من هو مثله: (أن اكتب لي بشيءٍ ينفعني في عمري)، فكتب إليه: (بسم الله الرحمن الرحيم. استوحش من لا إخوان له، وفرط المقصر في طلبهم؛ وأشد تفريطًا من ظفر بواحد منهم فضيعه؛ ولوجد أن الكبريت الأحمر أيسر من وجدانه؛ وإني أطلبه منذ خمسين سنة، ولم أجد إلا نصف صديق**)).

القاعدة الواحدة والثلاثون: عدم تضييع صداقةِ صديقٍ بعد ود.

قوله: (**وقال المبرد: (النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه العجب**)) يعني التواضع هذا صفة عامة للجميع، فما بالك مع الأخ الذي يكثُر لقاؤه وصحبته، فأولى وأولى.

القاعدة الثانية والثلاثون: التواضع بين الإخوة وتركُ التكبُّر عليهم.

قوله: (ومن جوامعها قول ابن الحسن الوراق، وقد سأل أبا عثمان عن الصحبة، قال: (هي مع الله بالأدب، ومع الرسول عليه السلام بملازمة العلم واتباع السنة، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بالبشر والانبساط وترك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة، قال الله تعالى: (خُذِ العَفوَ وَأَمرُ بِالعُرفِ)، والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل)).

وهذا كلامٌ عظيم وهو جامعٌ من جوامع العِشرة.

القاعدة الثالثة والثلاثون: من جوامع العِشرة معاملة كل أحدٍ بحسبه دون مخالفةٍ للشريعة.

قوله: (ولبعض الحكماء من السلف: (عاشروا الناس، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم)) يعني ما بين أن يكونوا أهل رغبةٍ في لقائكم وحنانًا عليكم، فإذا قدَّر الله ومِتَّ قبلهم فإنك لا تُحرَم دعاؤهم.

القاعدة الرابعة والثلاثون: حفظ الوُدِّ القديم والأخوَّة الثابتة.

قوله: (ومنها قول أبي عثمان الحيري، وقد سئل عن صحبة السلامة: (أن يوسع الأخ على أخيه من ماله، ولا يطمع فيما له، وينصفه، ولا يطلب الإنصاف منه،

ويستكثر قليل بره، ويستصغر من منا به عليه)) وهذا عظيم للغاية، فيستكثر ما يرى من الخير عند أخيه، ويستصغر ما يُعطي ويفعل مع أخيه، وواقعنا خلاف ذلك، نُكبِّر ما منا لإخواننا ونستصغر ما يأتينا من إخواننا، نسأل الله أن يعاملنا برحمته وأن يُحسِّن أخلاقنا.

القاعدة الخامسة والثلاثون: تكبير الخير من الأخ وتصغير الخير من النفس.

قوله: **(وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك). وقال القاسم بن محمد: (قد جعل الله في الصديق البار عوضًا من الرحم المدبر))** ينبغي للإنسان أن يُؤثر إخوانه على نفسه، وأن يُكرمهم وأن يُقدِّمهم على نفسه، وقد رأيت بعض الناس ابتُلِيَ بحب نفسه وتعظيمها، فتراهُ يحتقر الآخرين ويُعظِّم نفسه ويُقدمها على الآخرين، ثم حتى يُجمِّل ذلك ويُحسِّنه يُخرجهُ بقالب الدين، وهذه هي الطامَّة، ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾ [فاطر: ٨] فعملهُ السيء زُيِّن له وأخرجه بقالِب الدين.

القاعدة السادسة والثلاثون: إيثارُ الأخ وتقديمهُ على النفس وإكرامهُ.

ومن لطيف ما في كلامه ما نقلهُ عن أبي عثمان أنه إذا لم يفعل ذلك أكرمَ عدوه، وأنَّ نفسهُ عدوه، قال الله عز وجل: ﴿**فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١٠].

قوله: (**ومنها معرفة حقوق الفقراء، والقيام بحوائجهم وأسبابهم. قال ابن أبي أوفى: (كان رسول الله ﷺ لا يأنف ولا يستكبر، أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي حاجتها)**) وهذا المراد به مع الإخوة لا عامة الناس، لأنَّ البحث في الإخوة بصفة عامة، أو إن أراد العِشرة مع عامة الناس، لأنَّ عنوان الكتاب: (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) فالمقصود إن كان متعلقًا بالإخوة فالمراد معرفة حقوق الفقراء منهم.

القاعدة السابعة والثلاثون: معرفة حقوق الفقراء من الإخوة بالقيام بحوائجهم والسعي في كفايتهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومنها ملازمة الأدب مع الإخوان وحسن معاشرتهم؛ فقد قال الجنيد رحمه الله، إذ سُئل عن الأدب: (إنه حسن العشرة). والفرق بين عشرة العلماء والجهال قول يحيى بن معاذ الرازي: (إن العلماء عبدوا الله بقلوبهم، والناس عبدوه بأبدانهم، والجهال عبدوه بألسنتهم، وهم عبدوه بقلوبهم وأبدانهم وألسنتهم)**) المراد بقوله: (**وهم عبدوه بقلوبهم ...**) المراد العارفون، وقد تقدم الكلام على هذا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها حفظ أسرار الإخوان، فقد قال النبي ﷺ: (استعينوا على حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود). وقال بعض الحكماء: (قلوب الأحرار قبور الأسرار). وقيل: (أفشى رجل لصديق له سرا من أسراره، فلما فرغ قال له: حفظته؟ قال: لا، بل نسيته).

لَيسَ الكَريمُ الَّذي إِن زَلَّ صاحِبُهُ... بَثَّ الَّذي كانَ مِن أَسرارِهِ عَلِما

إِنَّ الكَريمَ الَّذي تَبقى مَودَّتُهُ... وَيَحفَظُ السِرَّ إِن صافى وَإِن صَرَما

ومنها المشورة مع الإخوان وقبولها منهم. قال الله عز وجل: (وَشاوِرهُم في الأَمرِ). قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (إن الله ورسوله غنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن شاور منهم لم يعدم رشدًا، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيًا).

ومنها إيثار الإرفاق على الإخوان. قال الله تعالى: (وَيُؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ). وقيل سعي إلى بعض الخلفاء بالصوفية أنهم يرفضون الشريعة، فأخذ منهم طائفة، منهم أبو الحسين النوري رضي الله عنه، فأمر بضرب أعناقهم، قال: فبادر أبو الحسين إلى السياف، فقال له السياف: ما لك بادرت دون أصحابك؟ فقال: أردت إيثار أصحابي بحياة هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجاتهم.

ومنها التخلق بمحاسن الأخلاق. قال أبو محمد الحريري: (كمال الرجل في ثلاثة: الغربة، والصحبة، والفطنة؛ فالغربة لتذليل النفس، والصحبة للتخلق بأخلاق الرجال، والفطنة للتمكين).

ومنها قلة مخالفة الإخوان في أسباب الدنيا، لأنها أقل خطرًا من أن يخالف فيها أخ من الإخوان. قال يحيى بن معاذ الرازي: (الدنيا بأجمعها لا تساوي غم ساعة، فكيف بغم طول عمرك وقطع إخوانك بسببها، مع قلة نصيبك منها!!).

ومنها أن تصاحب الإخوان على الوفاء والدين، دون الرغبة والرهبة والطمع. قال الحريري: (تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدين زمانًا طويلًا حتى رق الدين، ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة). قال الشيخ: وكنت أستحسنها له حتى رأيت مثلها للشعبي، وأظنه زاد، وسيأتي ما هو أشد.

ومنها ترك المداهنة في الدين مع من يعاشره. قال سهل بن عبد الله التستري: (لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره).

ومنها قلة الخلاف على الإخوان، وتحري موافقتهم فيما يريدون في غير مخالفة الدين والسنة؛ قالت جويرية: (دعوت الله أربعين سنة أن يعصمني من مخالفة الإخوان).

ومنها القيام بأعذارهم، والذب عنهم، والانتصاب له، كما قال الجنيد رحمه الله، وقيل له: (ما بال أصحابك أكلهم كثير؟ قال: لأنهم لا يشربون الخمر، فيكون جوعهم أكثر؛ وقيل له: ما بالهم لهم قوة شهوةٍ؟ قال: لأنهم لا يزنون، ولا يدخلون تحت محظورٍ؛ قيل: فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن؟ قال: لأنه كلام الحق، ما فيه ما يوجب الطرب، نزل بأمر ونهيٍ، ووعدٍ ووعيدٍ، فهو يقهر؛ قيل: فما بالهم يطربون عند القصائد؟ قال: لأنها مما عملت أيديهم؛ قيل: فما بالهم يطربون عند الرباعيات؟ قال: لأنها كلام المحبين والعشاق؛ قيل: فما بالهم محرومين من الناس؟ قال: قد قال أستاذنا القصار، إذ سئل عن ذلك: لخلال ثلاث، أحدها: أن الله لا يرضى ما لهم لهم، والثانية: أنه تعالى لم يرض حسناتهم بصحائف الناس، والثالثة: أنهم قومٌ لم يسيروا إلا إلى الله، فمنحهم كل ما سواه، وأفردهم له).

ومنها احتمال الأذى، وقلة الغضب، والشفقة، والبسط، والرحمة، لقول النبي ﷺ للرجل إذ قال له: عظني، وأوجز، قال: (لا تغضب) وقوله: (من موجبات المغفرة طيب الكلام) وقوله: (من لا يرحم لا يرحم).

ومنها الانبساط لإخوانه في النفس والمال، وألا يرى بينه وبينهم فرقًا، لما روي عن النبي ﷺ: (أنه كان ينبسط في مال أبي بكر رضي الله عنه، ويحكم فيه كانبساطه في ماله وحكمه).

الشرح:

قوله: **(وقال بعض الحكماء: (قلوب الأحرار قبور الأسرار). وقيل: (أفشى رجل لصديق له سرا من أسراره، فلما فرغ قال له: حفظته؟ قال: لا، بل نسيته))** يعني لم يحفظه فحسب بل نسيه، فلا يُرجى أن يبثَّه لأنه نسيه فضلًا عن أن يكون ذاكرًا له ويحفظه.

وحفظ السر أمره عظيم، وإنَّ حفظ السر في الناس قليل؛ لأنه ثقيل، وقد تكلم على ذلك العلماء في كتب الأدب ومنهم ابن عبد البر في كتابه (بهجة المجالس)، فقلَّ من يحفظ السر إلا من رحم الله، ومن أحسن الأخلاق الحسنة حفظ السر، وينبغي أن يتعوَّد الإنسان على حفظ السر في الصغير قبل الكبير، فإنه إذا اعتاد وتعوَّد سلكت نفسه هذه المسالك، وهو من الخلق الحسن، بل إنَّ السر أمانة، وإفشاؤه تضييع لهذه الأمانة.

القاعدة الثامنة والثلاثون: حفظ سر الإخوة.

قوله: (لَيسَ الكَريمُ الَّذي إِن زَلَّ صاحِبُهُ... بَتَّ الَّذي كانَ مِن أَسرارِهِ عَلِما. إِنَّ الكَريمَ الَّذي تَبقى مَوَدَّتُهُ... وَيَحفَظُ السِرَّ إِن صافى وَإِن صَرَما) يعني يحفظ السر في المحبة والبغضاء، وفي الوُد والعداوة.

قوله: (ومنها المشورة مع الإخوان وقبولها منهم. قال الله عز وجل: (وَشاوِرهُم في الأَمرِ). قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (إن الله ورسوله غنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن شاور منهم لم يعدم رشدًا، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيًا)).

القاعدة التاسعة والثلاثون: مشاورة الإخوة وقبول مشورتهم إذا كانت نافعة أو لا ضرر فيها.

قوله: (ومنها إيثار الأرفاق على الإخوان. قال الله تعالى: (وَيُؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ). وقيل سعي إلى بعض الخلفاء بالصوفية أنهم يرفضون الشريعة، فأخذ منهم طائفة، منهم أبو الحسين النوري رضي الله عنه، فأمر بضرب أعناقهم، قال: فبادر أبو الحسين إلى السياف، فقال له السياف: ما لك بادرت دون أصحابك؟ فقال: أردت إيثار أصحابي بحياة هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجاتهم).

قوله: (**ومنها إيثار الأرفاق على الإخوان ...**) الصواب: "**الإرفاق**"، يعني إيثار الرفق بهم، أي يُقدِّم الرفق بالإخوة ولو أضرَّ بنفسهِ، وغير ذلك من المعاني.

القاعدة الأربعون: إيثار الإخوة على النفس.

وقوله: (**وقيل سعي إلى بعض الخلفاء بالصوفية**) الصوفية: لقبٌ يُطلق على كل مُتعبِّد، فلفظ الصوفية نفسه ليس ذمًّا، لذا قال ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) في الصوفية: فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات.

وإنما اشتُهِرَ على المُتعبِّدَة أن يُسموا بالصوفية، فلذلك من حيث الأصل لا يُذم التصوف مطلقًا ولا يُمدح مطلقًا وإنما يُفصَّل فيه.

وللصوفية عبارات وإشارات واصطلاحات خاصة ظاهرها شيء وباطنها شيءٌ آخر، فمن أراد أن يُحاقَّهم ويُحاكمهم فليُحاكمهم بمعنى عباراتهم لا بظواهرها وألفاظها، وإن كانوا مخطئين في أن جعلوا لهم أمثال هذه العبارات التي تجرُّ اللوم إليهم وعليهم، لكن لو أنَّ لرجلٍ اصطلاحًا، فهذا الاصطلاح له معنًى عند هذا الرجل ومعناه عند عامة الناس شيءٌ آخر، فهو إذا تلفَّظ بهذا الاصطلاح مُخطئ، لكنه لا يُحاكَم إلا بما دلَّ عليه لفظهُ، وهذا الذي صنعه ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) وابن تيمية في كتابه (الاستقامة).

ولم يتفطَّن لهذا بعض من حقَّق الكتاب كالشيخ حامد الفقي فأكثر الاستدراك على ابن القيم، وينبغي أن نكون وسطًا بلا إفراط ولا تفريط، فنُخطِّئ اللفظ لكن لا نُحمِّلهُ ظاهر اللفظ ونحن نعلم أنه يريد معنًى آخر.

وينبغي أن يُعلم أنه وإن كان الصوفية يُطلق على ما سبق ذكره إلا أنه اشتهر في القرون المتأخرة أنه لا يُطلق إلا على أهل الباطل منهم، والذي أحسن حاله منهم أن يكون مبتدعًا، فإذن الاستعمال العرفي له أنه يُطلق على المبتدعة وقد يُطلق على المشركين منهم، لكن أصل الاستعمال ليس مذمومًا ويُطلق على الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات.

لأجل هذا أشكَل على ابن تيمية حال ابن عربي صاحب (الفصوص) وقال: وقد كنت أُحسن الظن به، إلى أن تبيَّنَ له زندقته، فالمقصود أنَّ الأصل أن نُعامل الجميع على ظواهر ألفاظهم، لكن إذا علمنا لهم اصطلاحًا خاصًّا فنُعاملهم باصطلاحهم الخاص ونُخطِّئ اللفظ.

وكثيرًا ما يحتجَّ الصوفية في بعض المناظرات بكلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم فليتنبه.

قوله: (**ومنها التخلق بمحاسن الأخلاق. قال أبو محمد الحريري: (كمال الرجل في ثلاثة: الغربة، والصحبة، والفطنة؛ فالغربة لتذليل النفس، والصحبة للتخلق**

بأخلاق الرجال، والفطنة للتمكين)) وقد تقدم هذا، لكن التخلُّق بأخلاق الرجال محمود، ومرجع ذلك إلى أعراف الناس ما لم تخالف الشرع، وينبغي أن يُربَّى على هذا الصغير والكبير وأن يتخلَّقوا بأخلاق الناس المحمودة، وليس معنى أنك طالب علم أن تُمايز الناس وتُغايرهم في أخلاقهم، بل تكون صاحب مروءة وأن تُعايش الناس على أخلاقهم وأعرافهم ما لم تُخالف الشريعة.

وبعض الناس يُصاب بردَّة فعل، فيرى كثيرًا من قومه على ضعفٍ دينيٍّ وعندهم مروءة وكرم ...إلخ، فمن ردَّة الفعل أنه يُخالفهم حتى في مروءتهم وطريقة كرمهم وشهامتهم، وهذا غلط، ينبغي أن تكون صاحب كرامة وشهامة بما يدلُّ عليه العرف ما لم تُخالف الشرع.

قوله: **(ومنها أن تصاحب الإخوان على الوفاء والدين، دون الرغبة والرهبة والطمع. قال الحريري: (تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدين زمانًا طويلًا حتى رق الدين، ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة). قال الشيخ: وكنت أستحسنها له حتى رأيت مثلها للشعبي، وأظنه زاد، وسيأتي ما هو أشد).**

القاعدة الواحدة والأربعون: الصحبة للدين لا للدنيا خوفًا وطمعًا.

قوله: (ومنها ترك المداهنة في الدين مع من يعاشره. قال سهل بن عبد الله التستري: (لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره)).

القاعدة الثانية والأربعون: تركُ مداهنة الإخوة في الدِّين.

وينبغي أن يُعلم أنَّ هناك فرقًا بين المداهنة والمداراة، فالمداهنة مذمومة والمداراة محمودة، قال الله عز وجل: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] بخلاف المداراة وقد استعملها النبي ﷺ وهي ترك أمرٍ دينيٍّ لمصلحةٍ راجحةٍ دينيةٍ أو دنيوية، وهي محمودة شرعًا، وقد ذكر هذا المعنى أبو العباس القرطبي في كتابه (المُفهم)، وابن مفلح في كتابه (الآداب الشرعية).

قوله: (ومنها القيام بأعذارهم، والذب عنهم، والانتصاب له، كما قال الجنيد رحمه الله، وقيل له: (ما بال أصحابك أكلهم كثير؟ قال: لأنهم لا يشربون الخمر، فيكون جوعهم أكثر؛ وقيل له: ما بالهم لهم قوة شهوةٍ؟ قال: لأنهم لا يزنون، ولا يدخلون تحت محظورٍ؛ قيل: فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن؟ قال: لأنه كلام الحق، ما فيه ما يوجب الطرب، نزل بأمر ونهيٍ، ووعدٍ ووعيدٍ، فهو يقهر؛ قيل: فما بالهم يطربون عند القصائد؟ قال: لأنها مما عملت أيديهم؛ قيل: فما بالهم يطربون عند الرباعيات؟ قال: لأنها كلام المحبين والعشاق؛ قيل: فما بالهم محرومين من الناس؟ قال: قد قال أستاذنا القصار، إذ سئل عن ذلك: لخلال ثلاث، أحدها: أن

الله لا يرضى ما لهم لهم، والثانية: أنه تعالى لم يرض حسناتهم بصحائف الناس، والثالثة: أنهم قومٌ لم يسيروا إلا إلى الله، فمنحهم كل ما سواه، وأفردهم له)).

أراد بهذا أنَّ الجنيد يعذر إخوانه؛ لذلك ينبغي أن نكون لإخواننا عذَّارين وألا نرض أن ينتقصهم أحد، ومقتضى الأخوَّة أن يكون الأخ عذَّارًا لأخيه وأن يكون الصديق مُدافعًا عن أخيه، لا أن يفرح بالقدح فيه ولا أن يسعد بانتقاصه.

القاعدة الثالثة والأربعون: الذبُّ عن الإخوة وإعذارهم.

قوله: **(ومنها احتمال الأذى، وقلة الغضب، والشفقة، والبسط، والرحمة، لقول النبي ﷺ للرجل إذ قال له: عظني، وأوجز، قال: (لا تغضب) وقوله: (من موجبات المغفرة طيب الكلام) وقوله: (من لا يرحم لا يرحم))**.

القاعدة الرابعة والأربعون: احتمالُ أذى الإخوة وعدم الغضب عليهم، بل الشفقة والرحمةُ لهم.

قوله: **(ومنها الانبساط لإخوانه في النفس والمال، وألا يرى بينه وبينهم فرقًا، لما روي عن النبي ﷺ: (أنه كان ينبسط في مال أبي بكر رضي الله عنه، ويحكم فيه كانبساطه في ماله وحكمه))** وهذه مرتبة عالية من الأخوَّة، أن ينبسط الرجل في مال أخيه وأن ينبسط أخوه في ماله، كأنَّ المالين مالٌ واحدٌ، وهذا قليلٌ في الناس إلا من رحم الله، لكن هو صدق الأخوَّة، ومما يُهوِّن هذا أمران:

الأمر الأول: تذكُّر الأجر والثواب.

الأمر الثاني: اليقين بأنَّ المال بركة لا كثرة، فبعض الناس يظن المال عددًا، فإذا نقصَ عددهُ ظنَّ أنَّ مالهُ ذهبَ، فغلبه الشُّح، وإنما المال بالبركة وأنت تلحظ هذا، فقد لا يُبارك لك في مالك فتُصاب بمرض فتحتاج أن تُنفق أموالًا كثيرة، أو بحادثٍ في سيارتك فتحتاج أن تُنفق أموالًا كثيرة، وقد يُبارَك لك فتُصرف عنك هذه الأمور ويبقى مالُك.

القاعدة الخامسة والأربعون: الانبساط بين الإخوة في النفس والمال وألا يُفرِّق الأخ بين ماله ومال أخيه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها مجانبة التباغض والتدابر والتحاسد، لقوله عليه السلام: (لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا). فأمرهم بإسقاط ذلك في حق الأخوة، ونزهها عن هذه الخصال الذميمة.

ومنها التآلف مع الإخوان على بغض الدنيا، فإنه لا يقع بينهم المخالفة إلا بسببها. وقال عليه الصلاة والسلام: (المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

ومنها أدب العشرة مع النسوان والأهل، لأن الله خلقهن ناقصات عقل ودين، فيعاشرهن بالمعروف على حسب ما جبلهن الله عليه، ولذلك جعل الله سبحانه شهادة امرأتين كشهادة رجل واحد. وقال عليه السلام: (ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب بعقول الرجال وذوي الألباب منكن). الحديث: وقال عليه السلام: (خيركم خيركم لأهله). وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (عقل المرأة جمالها، وجمال الرجل عقله). وسئل أبو جعفر عن قوله تعالى: (وَعاشِروهُنَّ بِالمَعروفِ). فقال: (هو حسن الصحبة مع من سألت ومن كرهت صحبتها).

ومنها حسن العشرة مع الخادم، لقول رسول الله ﷺ: (هم إخوانكم، جعلهم الله تعالى تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وأكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون). وكان آخر كلامه عليه السلام وهو محتضر: (الصلاة وما ملكت

أيمانكم). وقال أنس رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيءٍ لم أفعله لم لا فعلته). وقال رجل لرسول الله ﷺ: (ما حق جاري عليَّ؟) قال: (تفرشه معروفك، وتجنبه أذاك، وتجيبه إذا دعاك).

ومنها العشرة مع أهل الأسواق والتجار ألا تخلف وعدهم وتعذرهم في خلف الوعد إذ لا يمكن الخروج من حقك إلا في الوقت الذي يسره الله: وتعلم أن جلوسك على الحانوت غاية طلب الدنيا، وتعذرهم في ذلك لأجل قضاء دين أو نفقة على عيال أو أبوين، فالجلوس في الحانوت في حقك نقص، وفي حقهم عذر؛ فإن جاء أحد يشتري منك شيئًا فالله سائقه إليك لرزقك، فلا تشب بيعك بخلف، ولا كذب، ولا خنى لئلا تحرم بهذه الأمور المحرمة ما رزقك الله حلالا مقدرا.

واحمد الله على ربحك، وافرح بربح أخيك كفرحك بربحك؛ لقوله عليه السلام: (لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وإذا أمسكت الميزان فاذكر ميزان القيامة، وما عليك من الحق، وأحذر التطفيف، لقوله تعالى: (وَيلٌ لِلمُطَفِفينَ).

وأنظر معسرًا عن مال، لقوله تعالى: (فَنَظِرَةَ إِلى مَيسَرَةٍ)؛ فقد جعل الله له أمانًا ومهلةً.

وأقل من استقالك، لقوله عليه السلام: (من أقال نادمًا بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة).

وأرجح لمن وزنت له، فإن النبي ﷺ قال لوزان وزن لصاحب حق: أرجح. وإذا وزنت لنفسك فأنقص لتيقن وجه الحل.

واحذر المطل مع الميسرة، لقوله عليه السلام: (مطل الغني ظلم). ولا تمدح سلعتك وتذم سلعة أخيك، فهو نفاق.

والزم البر والصدق، لقوله عليه السلام: (التجار فجار إلا من بر وصدق). وشب بيعك بشيء من الصدقة، لقوله عليه السلام: (يا معشر التجار هذه البيوع يخالطها الحلف والكذب، فشوبوها بشيءٍ من الصدقة).

واجعل خروجك للتجارة لتقضي حاجة المسلمين، فإن رزقك مقدر بفضل الله. قال ابن المبارك: وتكون نيتك مباركةً عليك لقوله عليه السلام: (نية المؤمن خير من عمله). قال بعض الحكماء في معنى الخير: (نية بلا عمل خير من عمل بلا نية).

الشرح:

قوله: (ومنها التآلف مع الإخوان على بغض الدنيا، فإنه لا يقع بينهم المخالفة إلا بسببها. وقال عليه الصلاة والسلام: (المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)) أكثر الخلافات بين الإخوة والأصدقاء والأحباب بسبب الدنيا، فينبغي أن

نتعاون على تحقيرها كما حقَّرتها الشريعة أشدَّ تحقير، فينبغي أن نُحقِّرها وألا نُكبِّرها في نفوسنا، وهذا خلاف عادة الإنسان إلا من وفَّقهُ الله ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧] جمعت بين شيئين: خير أي أخير، حُذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وأبقى: أي أدوم، فجمعت بين كونها الأحسن والأدوم، والدنيا أسوأ وأقل بقاءً، نسأل الله أن يُعاملنا برحمته.

القاعدة السادسة والأربعون: التعاون مع الإخوة على بُغض الدنيا.

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق، داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيا، كان عيبا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فو الله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم**» فهذا يدل على أنَّ الشريعة زهَّدت في الدنيا.

قوله: (**ومنها أدب العشرة مع النسوان والأهل، لأن الله خلقهن ناقصات عقل ودين، فيعاشرهن بالمعروف على حسب ما جبلهن الله عليه، ولذلك جعل الله سبحانه شهادة امرأتين كشهادة رجل واحد. وقال عليه السلام: (ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب بعقول الرجال وذوي الألباب منكن). الحديث: وقال عليه السلام: (خيركم خيركم لأهله). وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:**

(عقل المرأة جمالها، وجمال الرجل عقله). وسئل أبو جعفر عن قوله تعالى: (وَعاشِروهُنَّ بِالمَعروفِ). فقال: (هو حسن الصحبة مع من سألت ومن كرهت صحبتها)).

فإذا علمتَ أيها الرجل أنَّ المرأة ضعيفة وناقصة عقل ودين، فليس معنى هذا أن تُعيِّرها بذلك، وإنما معنى هذا أن تُحسن عشرتها بما يناسبها وتعلم أنَّ الحِمل عليك ثقيل، لا أن يصبح طريقة لتعييرها وانتقاصها وإنما يصبح سببًا لحسن عشرتك لها، وأن تعرف حالها وضعفها.

القاعدة السابعة والأربعون: الأدب مع النسوان والأهل بما يُناسب حالهم.

قوله: (ومنها حسن العشرة مع الخادم، لقول رسول الله ﷺ: (هم إخوانكم، جعلهم الله تعالى تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وأكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون). وكان آخر كلامه عليه السلام وهو محتضر: (الصلاة وما ملكت أيمانكم). وقال أنس رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيءٍ لم أفعله لم لا فعلته). وقال رجل لرسول الله ﷺ: (ما حق جاري عليَّ؟) قال: (تفرشه معروفك، وتجنبه أذاك، وتجيبه إذا دعاك)).

هذا من حُسن عِشرة النبي ﷺ مع أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد خدمه عشر سنين وحصل منه ما ذكر، فينبغي أن نكون أصحاب أخلاقٍ حسنة مع الخدم، لكن ينبغي أن تُفرِّق

بين أمور: بين إنسانٍ عرضَ الخدمة من نفسه دون مقابل كفعل أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبين خدمةٍ لأجرة، وبين مملوك، فمن استأجر رجلًا ليبني له دارًا فبنى الدار على خلاف ما أراد فتذكَّر قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين ولم يقل لشيء لم يفعله لِمَ لم تفعله؟ ... فيقول: إذن لا أُطالبه بشيء. هذا غلط، فهذه إجارة، ومن كان عنده عبدٌ مملوك يختلف عن رجلٍ عرَضَ نفسهُ لأن يخدمه دون مقابل، فهذا الذي ينطبق على كلام أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمقصود أنَّ الخدم ومن استُئجر من الأجراء والعبد المملوك ...إلخ كلٌّ منهم يُعاشرون بالتي هي أحسن بما يُناسب حالهم.

القاعدة الثامنة والأربعون: الأدب مع الخادم بما يناسبه.

قوله: (**ومنها العشرة مع أهل الأسواق والتجار ...**) ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في الأدب في الأسواق وأماكن التجارة هذا كلامٌ عظيم، ويدور على العدل بل على الاحتياط، ومن أحسن ما فيه ما ختمهُ به بقوله: (**واجعل خروجك للتجارة لتقضي حاجة المسلمين**) وهو أن تكون لك نيَّةٌ في بيعك وشرائك، وإذا كان لك نيَّةٌ في بيعك وشرائك أو في وظيفتك فإنَّ لك أجرًا من أن ترفع الفقر عن نفسك وعن أولادك وعمن تحت يدك، وأن تتصدَّق ...إلى غير ذلك، فإذا كان لك نيَّة أُجرت أجرًا عظيمًا، فينبغي أن يكون لنا نيَّة، كما ثبت في الصحيحين عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»، وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص أنَّ

النبي ﷺ قال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك**».

إذن استشعر مثل هذا، لكن في قوله: (**وتعلم أن جلوسك على الحانوت غاية طلب الدنيا، وتعذرهم في ذلك لأجل قضاء دين ...**) كأنه ينتقص السعي للتجارة، وهذا غلط، وهذا إنما يقوله الصوفية ومن تأثَّر بهم، فطلب التجارة وغنى النفس والبيع والشراء للكفاف عما في أيدي الناس مطلوبٌ شرعًا، وينبغي أن يوازن فيه بين المصالح والمفاسد، ومثله قد تتعارض معه بعض العبادات كطلب العلم وغيره، فيوازنها، ويُقدم الأصلح فالأصلح، وهذا يختلف باختلاف حال الناس، أما البيع والشراء فهذا محمود وطلب الرزق محمود.

القاعدة التاسعة والأربعون: الأدب مع أهل السوق بما يناسبهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها العفو عن هفوة الإخوان في النفس والمال دون أمور الدين والسنة، لقوله تعالى: (وَلْيَعفوا وَلْيَصفَحوا). وقوله: (وَأَن تَعفوا أَقربُ لِلتَقوى).

ومنها حسن الجوار، وأن يأمنك جارك في أسبابه: في نفسه ودينه وأهله وماله وولده؛ لقوله عليه السلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه). وقوله عليه السلام: (ليس بمؤمن من يشبع وجاره إلى جانبه طاو). وقوله: (لا تؤذ جارك بقتار قدرك). ولا بلسانك أيضًا، ولا تحسده في شيء من أحواله وأفعاله؛ وأشفق عليه وعلى أهله وولده كشفقتك على نفسك وأهلك؛ واحفظ ماله كحفظ مالك.

ومنها طلاقة الوجه والاسترسال، لقوله عليه السلام: (إن الله يحب الطلق الوجه، ولا يحب العبوس). وقال عليه السلام: (من أخلاق المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين السياسة إذا تزاوروا، والمصافحة والبر إذا التقوا).

ومنها القيام بحرمة من هو دونه من الإخوان، فكيف بمن هو فوقه أو مثله، لقوله عليه السلام: (سيد القوم خادمهم). وقال يحيى بن أكثم: بت ليلةً عند أمير المؤمنين المأمون، فانتبهت وأنا عطشان، فوثب من مرقده، فجاءني بماءٍ، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا دعوت بخادم؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: (سيد القوم خادمهم).

ومنها أن يشارك إخوانه في المكروه والمحبوب، لا يتلون عليهم في الحالين جميعًا.

ومنها ألا يمن على من يحسن إليه، ويشكر ما يصل إليه منهم. قال عروة: كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة، وجعلها، في ثني وسادته التي يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة، فبصر بالرقعة، فقرأها وردها إلى موضعها، وجعل مكانها كيسًا، فيه خمسمائة دينار، فجاء الرجل، فدخل عليه، فقال له: قلبت النمرقة؟ فخذ ما تحتها، فأخذ الرجل الكيس وخرج وهو ينشد:

زادَ مَعروفَكَ عِندي عِظَمًا... أَنَّهُ عِندَكَ مَيسورٌ حَقير

تَتَناساهُ كَأَن لَم تَأتِهِ... وَهُوَ عِندَ الناسِ مَشهورٌ كَبير

الشرح:

قوله: (ومنها العفو عن هفوة الإخوان في النفس والمال دون أمور الدين والسنة، لقوله تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾. وقوله: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾) هذا كلام عظيم، وأكَّد ذلك بقوله: (دون أمور الدين والسنة) فمما يحسن في تصنيف المصنف أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكثر إظهار الدين والسنة وذم البدعة وأهلها.

قوله: (ومنها حسن الجوار، وأن يأمنك جارك في أسبابه: في نفسه ودينه وأهله وماله وولده؛ لقوله عليه السلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه). وقوله عليه السلام: (ليس بمؤمن من يشبع وجاره إلى جانبه طاو). وقوله: (لا تؤذ جارك

بقتار قدرك). ولا بلسانك أيضًا، ولا تحسده في شيء من أحواله وأفعاله؛ وأشفق عليه وعلى أهله وولده كشفقتك على نفسك وأهلك؛ واحفظ ماله كحفظ مالك).

القاعدة الخمسون: الأدبُ مع الجار.

وإذا تأملت الأدب مع الجار فهو يرجع إلى أمرين: الأول كفُّ الأذى عنه، والثاني إيصال الإحسان إليه.

قوله: **(ومنها القيام بحرمة من هو دونه من الإخوان، فكيف بمن هو فوقه أو مثله، لقوله عليه السلام: (سيد القوم خادمهم). وقال يحيى بن أكثم: بت ليلةً عند أمير المؤمنين المأمون، فانتبهت وأنا عطشان، فوثب من مرقده، فجاءني بماءٍ، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا دعوت بخادم؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: (سيد القوم خادمهم)).**

الله أكبر! والحديث ضعيف لكن معناه صحيح وهو من الأمثال الشائعة.

القاعدة الواحدة والخمسون: خدمة الإخوان صغيرهم قبل كبيرهم.

قوله: **(ومنها أن يشارك إخوانه في المكروه والمحبوب، لا يتلون عليهم في الحالين جميعًا)** يعني أن يكون مع إخوانه في حالٍ واحدة في السراء والضراء والضيق والسعة، وهذه من الأخلاق الحسنة العظيمة، وبعض الناس يتلون ويتغير، إذا كان

يختلف حالهم ما بين إذا كان غنيًّا أو كان فقيرًا، أو كان ذا منصب أو لم يكن ذا منصب، فينبغي أن يكون الأخ أخًا في السراء والضراء.

القاعدة الثانية والخمسون: دوام الأخوة في السراء والضراء وعدم تغيُّرها.

قوله: (**ومنها إلا يمن على من يحسن إليه، ويشكر ما يصل إليه منهم. قال عروة: كتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة، وجعلها، في ثني وسادته التي يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة، فبصر بالرقعة، فقرأها وردها إلى موضعها، وجعل مكانها كيسًا، فيه خمسمائة دينار، فجاء الرجل، فدخل عليه، فقال له: قلبت النمرقة؟ فخذ ما تحتها، فأخذ الرجل الكيس وخرج وهو ينشد: زادَ مَعروفَكَ عِندي عِظَمًا... أَنَّهُ عِندَكَ مَيسورٌ حَقير. تَتَناساهُ كَأَن لَم تَأتِهِ... وَهُوَ عِندَ الناسِ مَشهورٌ كَبير**).

يعني: ما مَنَّ عليه، أعطاه بطريقة ليس فيها مِنَّة، وفيها تحقير لعمله معه.

القاعدة الثالثة والخمسون: ترك المنِّ على الإخوة بفعل خير.

وبعض الناس لو فعل خيرًا يُردده سنين، إن كان راضيًا وفعل له أخوه خيرًا قال: لا تُكبِّر خيرك وتعظمه فقد سبقتك للخير. وإن كان غاضبًا عليه قال: أعوذ بالله، لا يُقدِّر الأخوة وقد فعلت له معروفًا أو قد قدمت له شيئًا قبل كذا وكذا ... وهذا خطأ ويدل على لآمة في النفس -عافاني الله وإياكم-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها إلا يقبل على إخوانه قول واش نمام، لقول الخليل بن أحمد: (من نم لك نم عليك، ومن أخبرك خبر غيرك أخبره بخبرك).

قال عليه السلام: (لا يدخل الجنة قتات).

ومنها الوفاء للإخوان في الحياة والوفاة، لقول بعض الحكماء: (من لم يف للإخوان كان مغموز النسب).

ومنها أن تكون الشفقة على الأخ الموافق أكثر من الشفقة على الولد. قال أبو زائدة: كتب الأحنف إلى صديق له: أما بعد، فإذا قدم أخ لك موافق، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر؛ فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف. ألم تسمع قول الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه: (إِنَّهُ لَيسَ مِن أَهلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرَ صَالِحٍ).

ومنها الاجتهاد في ستر عورات الإخوان وقبائحهم، وإظهار مناقبهم، وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات. قال النبي ﷺ: (مثل المؤمنين إذا التقيا كاليدين تغسل إحداهما الأخرى).

وأُنشد عن ثعلب:

ثَلاثُ خِصالٍ لِلصَديقِ جَعَلتُها... مُضارَعَةً لِلصَومِ وَالصَلواتِ

مُواساتُهُ وَالصَفحُ عَن عَثَراتِهِ... وَتَركُ اِبتذالِ السَرِ في الخَلَواتِ

ولسعيد بن حمدان:

لَم أُؤاخِذكَ إِذ جَنَيتَ لِأَنّي... واثِقٌ مِنكَ بِالإِخاءِ الصَحيحِ

فَجَميلُ العَدوِّ غَيرُ جَميلٍ... وَقَبيحُ الصَديقِ غَيرُ قَبيحِ.

ومنها ألا يهجر الأخ بغضة بل هجر استبقاء لوده وقطع مقالة واش عنه؛ فقد ورد من طريق عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام).

ومنها التودد للإخوان بالاصطناع إليهم والصفح عنهم. وقال عليه السلام: (اصنع المعروف إلى من هو أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله). وقال عليه السلام: (رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل برٍ وفاجرٍ).

وينشد لابن أبي النجم:

اِصنَعِ الخَيرَ ما اِستَطَعتَ وَإِن... كُنتَ لا تُحيطُ بِكُلِّهِ

فَمَتى تَصنَعُ الكَثيرَ إِذا... كُنتَ تارِكًا لِأَقَلِّهِ

ومنها الدوام للإخوان على حسن العشرة، وإن وقعت بينهم وحشةٌ أو نفرة، فلا يترك كرم العهد، ولا يفشي الأسرار المعلومة في أيام الأخوة.

ويُنشد عن بعضهم:

نَصِلُ الصَديقَ إِذا أَرادَ وِصالَنا... وَنَصُدُّ عِندَ صُدودِهِ أَحيانا

إِن صَدَّ عَنّي كُنتُ أَكرَمَ مُعرِضٍ... وَوَجَدتُ عَنهُ مَذهَبًا وَمَكانا

لا مُفشيًا بَعدَ القَطيعَةِ سِرَّهُ... بَل كاتِمٌ مِن ذاكَ ما اِستَرعانا

إِن الكَريمَ إِذا تَقَطَّعَ وُدُّهُ... كَتَمَ القَبيحَ وَأَظهَرَ الإِحسانا

ومنها التغافل عن الإخوان. قال جعفر بن محمد الصادق: (عظموا أقدراكم بالتغافل).

ومنها ترك الوقيعة فيهم. قال المهاجري: (قال أعرابي لرجل: قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن طالبها متهم بقدر ما فيه منها).

ومنها قبول العذر من فاعله، صدق أو كذب؛ لقول رسول الله ﷺ: (من اعتذر إليه أخوه المسلم، فلم يقبل عذره، فعليه مثل صاحب مكس).

ولبعضهم:

أَقبَل مَعاذيرَ مَن يَأتيكَ مُعتَذِرًا... إِن يَروِ عِندَكَ فيما قالَ أَو فَجَرا

فَقَد أَطاعَكَ مَن أَرضاكَ ظَاهِرُهُ... وَقَد أَجَلَّكَ مَن يَعصيكَ مُستَتِرا

قال عبد الله بن المبارك: (المؤمن طالب عذر إخوانه، والمنافق طالب عثراتهم).

ومنها التسارع إلى قضاء حاجة رافعها إليك، لقول جعفر الصادق: (إني لأسارع إلى قضاء حوائج الإخوان مخافة أن يستغنوا عني بردي إياهم). وقال ابن المنكدر: (لم يبق من الله إلا قضاء حوائج الإخوان).

ومنها ألا ينسيك بعد الدار كرم العهد والنزوع إلى مشاهدة الإخوان. قال ابن الأنباري: (من كرم الرجل حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه).

ومنها صون السمع عن سماع القبيح، واللسان عن نطقه؛ فقد قال، عليه السلام: يقول الله عز وجل: (أَينَ الَّذينَ كانوا يُنَزِّهونَ أَسماعَهُم عَن الخَنا أُسمِعهُم اليَومَ حَمدي وَالثَناءَ عَلَيَّ).

ولبعضهم:

تَحَرَّ مِن الطُرقِ أَوساطَها... وَخَلِّ عَن المَوضعِ المُشتَبَه

وَسَمعَكَ صُن عَن سَماعِ القَبيحِ... كَصَونِ اللِسانِ عَنِ النُطقِ بِه

فَإِنَكَ عِندَ اِستِماعِ القَبيحِ... شَريكٌ لِقائِلِهِ فَانتَبَه

فَكَم أَزعَجَ الحِرصُ مِن طَالب... فَوافى المَنيَّةَ في مَطلَبِه

ومنها المبادرة في الجواب عن كتاب الأخ، وترك التقصير فيه. قال ابن عباس، رضي الله عنه: (إني أرى لرد الجواب حقًا، كما أرى لرد جواب السلام).

وأنشد لأبي هفان:

إِذا الإِخوانُ قاتَهُمُ التَلاقي... فَما شَيءٌ أَسَرُّ مِنَ الكِتابِ

وَإِن كَتَبَ الصَديقُ إِلى صَديقٍ... فَحَقُّ كِتابِهِ رَدُّ الجَوابِ

الشرح:

قوله: (ومنها إلا يقبل على إخوانه قول واش نمام، لقول الخليل بن أحمد: (من نم لك نم عليك، ومن أخبرك خبر غيرك أخبره بخبرك). قال عليه السلام: (لا يدخل الجنة قتات)) وهذا حق، فدائمًا النمام الذي ينقل كلام الآخرين إليك، هذا طبعه وصفته، وسينقل كلامك إلى الآخرين.

القاعدة الرابعة والخمسون: عدم قبول الوشاية في الإخوة.

قوله: (ومنها الوفاء للإخوان في الحياة والوفاة، لقول بعض الحكماء: (من لم يف للإخوان كان مغموز النسب)) مغموز النسب: عادةً أنَّ مكارم الأفعال تكون ممن له نسب -وهذا في العادة- لأنه يتأثَّر بنسبه ويتأثَّر بقومه الذين يتنافسون على مكارم الأخلاق.

القاعدة الخامسة والخمسون: الوفاء للإخوة في الحياة وبعد الممات.

والوفاء في الحياة واضح، أما الوفاء بعد الممات: فلا يذكرهم إلا بخير، ويُكثر الدعاء لهم، ويتصدَّق عنهم.

قوله: (**ومنها أن تكون الشفقة على الأخ الموافق أكثر من الشفقة على الولد. قال أبو زائدة: كتب الأحنف إلى صديق له: أما بعد، فإذا قدم أخ لك موافق، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر؛ فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف. ألم تسمع قول الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيسَ مِن أَهلِكَ إِنَهُ عَمَلٌ غَيرَ صَالِحٍ﴾**).

تأمَّل قوله: (**الأخ الموافق**) أي الذي يوافقك على الخير ولا يُعارضك ويتطاوع معك ويتنازل لك.

القاعدة السادسة والخمسون: الحرص على الأخ الموافق أكثر من الولد.

قوله: (**... ولسعيد بن حمدان: لَم أُؤاخِذكَ إِذ جَنَيتَ لِأَنّي... واثِقٌ مِنكَ بِالإِخاءِ الصَحيحِ. فَجَميلُ العَدوِّ غَيرُ جَميلٍ... وَقَبيحُ الصَديقِ غَيرُ قَبيحِ**).

القاعدة السابعة والخمسون: ستر عورات وقبائح الإخوة وإظهار محاسنهم.

قوله: (**ومنها ألا يهجر الأخ بغضة بل هجر استبقاء لوده وقطع مقالة واش عنه؛ فقد ورد من طريق عن النبي ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)**) فلا يحرص على هجر أخيه، لكن إن كان ولا بد فيهجره من باب إصلاحه، لا أن يهجره هجر عداوةٍ، فإنَّ من صور الإصلاح الهجر إذا كان باعتدال وبمراعاة المصالح، فإنَّ من صور الإصلاح الهجر، وهذا يختلف باختلاف الناس ومكانة الأخ عند أخيه، فمن الناس من إذا هجرته ازداد سوءً، لكن إذا كان الهجر نافعًا فتهجر أخاك لينتفع لا لعداوة.

القاعدة الثامنة والخمسون: عدم هجر الأخ بغضًا وإنما إذا دعت المصلحة فيهجره نفعًا.

وكلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التودد يُكتب بماء العيون، وقلَّ مثلهُ بين الإخوة، بأن يُعامل الأخ أخاهُ على وجه التودُّد والتواضع وأن يتنازل له عما في نفسه لأخيه، فمن الناس من يُوفَّق في صحبة إخوانه بأنهم يحبونه لأنه يعاملهم بالتودد، فإذا اشتكى استمع لشكواه وكان هيِّنًا ليِّنًا ويعامل صاحبه بما يحب، فيُعامل هذا بالمزح ويُعامل ذاك بالجد، ويعامل الثالث بالعلم، ويعامل الرابع بكذا وكذا، فيعامل كل أحد بحسب حاله، وهذه رحمة من الله على الإنسان أن يستطيع أن يُعامل الناس بما يحبون وأن يكون فقيهًا في تعامله مع إخوانه.

وبعض الناس يريد أنَّ غيرهُ يُعاملوه بما يحب، وهذا يقِلّ أصحابه وتكثُر خصومته، والموفق هو الذي يُعامل الناس بما يريدون، حتى إنه إذا فارَق الناس بعد مجالستهم كلٌّ أحبه، وظنَّ أنه صاحبه دون غيره، وهذا من توفيق الله للإنسان، والجامع لهذا التودُّد.

قوله: (**ومنها التودد للإخوان بالاصطناع إليهم والصفح عنهم. وقال عليه السلام: (اصنع المعروف إلى من هو أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله). وقال عليه السلام: (رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل برٍ وفاجرٍ)**) لاحظ أنه ذكر الاصطناع إليه، فيصطنع ما يصلح لحالهم، فمثلًا هذا يحب أن يشتكي ويحب أن تسمع شكواه، وذاك يحب أن تُكبِّر ما يأتي منه من أفعال، ويحب أن يتحدث عن نفسه ويحب أن تُكبِّر فِعاله فكبِّر فعاله، والثاني يحب ألا تُخطِّئه، فلا تُخطئه، والكلام في غير مخالفة الشريعة، وإذا أردت أن تُصلحه في خطأ في دنياه أصلح بطريقةٍ غير مباشرة، فتعامل كل الناس بمعاملة حتى يظن المُعامل لك أنك صاحبه دون غيرك.

وهذا مأخوذ من هدي النبي ﷺ، فإنَّ من جالسه ظنَّ أنه يحبه أكثر الناس، حتى إنَّ عمرو بن العاص لما جالَس النبي ﷺ ظنَّ أنه يُحبهُ أكثر الرجال، فقال يا رسول الله: من أحبُّ الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قال: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قال: ثم من؟ قال: «**عمر**» وهو ينتظر اسمه؛ لأنه رأى تودُّدًا من النبي ﷺ معه فضلًا

عن أن يُحبه النبي ﷺ أكثر الناس، لذلك الموفق من يُعاشر الناس بنفسياتهم، وكلٌّ يعامله بما يصلح له.

وأحوال الناس في هذا الباب لا تكاد تنتهي، فإن رأى منهم مأكولًا أو مشروبًا أثنى عليه، ويظهر محبة ما يحبه صاحبه من طعام وغيره وهذا من التودُّد مع الناس وليس نفاقًا، بل هذه من المعاملة الحسنة، والنفاق أن تكذب عليه، أما أن تُظهر له التودُّد والتنازل... فهو معنى قول النبي ﷺ: «**تطاوعا**»

ومدار هذه الأمور ألا تجعل لعدوك الأكبر وهو نفسك حظًّا، فابخس حظَّ نفسك وتطاوع مع إخوانك، والنفس تريد من يُعظِّمها وأنت تُعظِّم إخوانك ولا تُعظِّم نفسك، فإذا خالفت هذا العدو -وهو نفسك- ظفرت بخيرٍ عظيم.

قوله: (**وقال عليه السلام: (رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل برٍ وفاجرٍ)**) هذا الحديث حديثٌ عظيم -مع أنه ضعيف- فقال: «**رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس**» وتقدم أنَّ العقل غير الفهم والحفظ، فالتودد أمره عظيم ونسأل الله أن يرزقناه برحمته وأن يكون مبتغانا الله والدار الآخرة وأن يجعله ذخرًا لنا يا رب العالمين.

القاعدة التاسعة والخمسون: التودُّد للإخوة من العقل.

قوله: **(ومنها التغافل عن الإخوان. قال جعفر بن محمد الصادق: (عظموا أقدراكم بالتغافل))** ومنها كلمة أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: وجدتُ تسعة أعشار العافية في التغافل، بل العافية كلها في التغافل.

وأصل التغافل في القرآن قوله تعالى: ﴿**عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ**﴾ [التحريم: ٣] لم يذكر كل شيء وتغافَل، وكثير مما تقدم يرجع إلى التغافل.

القاعدة الستون: التغافل عن كل نقصٍ عند الأخ.

وبعض الناس يُحب أن يُزار، فمن التودُّد له أن تزوره ولا تنتظر أن يُعاملك بالمثل، والناس يختلفون وليسوا وسواء، فأنت كن مع الناس باخسًا لنفسك ساعيًا أن تُعامل كل أحد بما يرضيه، أما التغافل فباب عظيم للغاية بل أعتقد لا يمكن لأحد أن يعيش عيشةً هنيَّةً سعيدةً إلا بالتغافل، حتى الأب مع أولاده، لو لم يتعامل الأب مع أولاده ذكورًا وإناثًا بالتغافل لتأثَّر وأصبح دائمًا متذمِّرًا منهم.

وبعض الآباء ما إن يزوره زائر إلا أول ما يشتكي من الأولاد، مع أنه لو دقَّق لوجد أنَّ فيهم خيرًا كثيرًا، فلو أنَّ الأب يُكبِّر الخير الذي يفعله أولاده ويتغافل عما عندهم هذا مع الأولاد فضلًا عن غيرهم من زوجة وأصحاب.

فمن أسباب سلامة الصدر وراحة البال: التغافل وتكبير ما عند الناس، واتهام العدو الأكبر وهي النفس.

قوله: (**ومنها ترك الوقيعة فيهم. قال المهاجري: (قال أعرابي لرجل: قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن طالبها متهم بقدر ما فيه منها)**) وهذا خطير، فكثرة طلب عيوب الناس مذموم ويدل على مرض في الإنسان، لكن فرق بين هذا وبين الرد على المخالف سواءً كان بدعيًّا أو سنيًّا أظهر خطأ، فالقاعدة الشرعية: من أخطأ علانية يُردُّ عليه علانية، فهذا شيء وتتبُّع عيوب الناس شيءٌ آخر.

القاعدة الواحدة والستون: ترك ذمِّ الإخوة والوقيعة فيهم.

قوله: (**قال عبد الله بن المبارك: (المؤمن طالب عذر إخوانه، والمنافق طالب عثراتهم)**) وهذا قد تقدم، لكن بعض الناس يريد أن يُبيِّن أنه فاهم ويقول: أدري أنك تكذب عليَّ لكن أقبل عذرك... وهذا لا يحتاج إليه، فاقبل العذر حتى لو كان غير صادق إلا أن يكون قبول العذر في مثله يضر.

قوله: (**ومنها التسارع إلى قضاء حاجة رافعها إليك، لقول جعفر الصادق: (إني لأسارع إلى قضاء حوائج الإخوان مخافة أن يستغنوا عني بردي إياهم). وقال ابن المنكدر: (لم يبق من الله إلا قضاء حوائج الإخوان)**) السرعة في قضاء حوائج الإخوان نعمة عظيمة، سواء بالأبدان أو بالجاه أو بالمال، ومما يُسهلها في هذه الأمور الثلاثة احتساب الأجر، وإنَّ الإنسان وإن أكثر الشفاعة للآخرين قد يظنها نقصًا عند من يشفع إليه، لكن والله إنها عزٌّ في الدنيا قبل الآخرة، وتقدم أنَّ المال بركة،

كما يأتي الملكان فيقولان: «**اللهم أعطِ منفقًا خلفًا وأعطِ ممسكًا تلفًا**»، والله يقول: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: ٣٩].

القاعدة الثانية والستون: السرعة في قضاء حوائج الإخوة، لاسيما من خصَّك منهم بحاجته.

ولاحظ أنَّ جعفرًا الصادق لما كانت نفسه نفسًا عليَّة يقول: (**إني لأسارع إلى قضاء حوائج الإخوان مخافة أن يستغنوا عني بردي إياهم**) أي أسارع حتى لا ينفر مني إخواني، واليوم نحن نبحث عن أي عذر لنجعله مانعًا في قضاء حوائج إخواننا، وهو لا يريد هذا بل يريد أن يبقى مستمرًّا في قضاء حوائجهم حتى يستمروا في الإقبال إليه وطلب الحوائج إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**ومنها ألا ينسيك بعد الدار كرم العهد والنزوع إلى مشاهدة الإخوان. قال ابن الأنباري: (من كرم الرجل حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه)**) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبعض الناس مع بُعد الدار وانتقاله من مدينة إلى مدينة أو من حيٍّ بعيد إلى حيٍّ آخر ينسى إخوانه وأصحابه، وهذا خطأ.

القاعدة الثالثة والستون: عدم نسيان الأخوة لبُعد الدور.

قوله: (ومنها صون السمع عن سماع القبيح، واللسان عن نطقه؛ فقد قال، عليه السلام: يقول الله عز وجل: (أَينَ الَّذينَ كانوا يُنَزِّهونَ أَسماعَهُم عَن الخَنا أُسمِعهُم اليَومَ حَمدي وَالثَناءَ عَلَيَّ) ...).

القاعدة الرابعة والستون: من آداب العِشرة صونُ الآذان عن سماع القبيح من الإخوان وصون اللسان عن نطق القبيح للإخوان.

قوله: (ومنها المبادرة في الجواب عن كتاب الأخ، وترك التقصير فيه. قال ابن عباس، رضي الله عنه: (إني أرى لرد الجواب حقًا، كما أرى لرد جواب السلام). وأنشد لأبي هفان: إِذا الإِخوانُ فاتَهُمُ التَلاقي... فَما شَيءٌ أَسَرُّ مِنَ الكِتابِ).

رُد على صاحبك الذي يسأل عنك ويسلم عليك ما استطعت، فأحيانًا تأتيك رسائل في وسائل التواصل أو بالجوال وغير ذلك، فرد سريعًا ما استطعت، فإنَّ هذا من حق الأخ على أخيه.

القاعدة الخامسة والستون: من الآداب ردُّ الجواب سريعًا وتركُ التقصير فيه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنها الأدب في الاستئذان واستعمال السنة فيه؛ لقول النبي ﷺ: (الاستئذان ثلاث: الأولى تستنصتون، والثانية يستصلحون، والثالثة يأذنون أو يردون).

ومنها ألا يصوم إذا دعاه أخ إلا بإذنه؛ وإن نوى الصوم فليفطر تحريًا لسروره؛ فإن أبا سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: صنعت لرسول الله ﷺ، طعامًا، فجاء هو وأصحابه، فلما وضع الطعام، قال رجل من القوم: إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: (دعاكم أخوكم، وتكلف لكم، أفطر ثم صم يومًا مكانه إن شئت).

ومنها الرغبة في زيارة الإخوان والسؤال عن أحوالهم؛ فقد قال النبي ﷺ: (إن رجلًا زار أخاه في قريةٍ، فأرصد على مدرجته ملكًا، فقال له: إلى أين يا عبد الله؟ فقال أزور أخًا لي في الله تعالى في هذه القرية، فقال له: طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا).

وكان عبد الله بن مسعود يقول: (كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادةً، وإن كان مشغولًا كانت عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارةً).

ومنها أن تصاحب كلًا من الإخوان على قدر طريقته. قال شبيب بن شيبة: (لا تجالس أحدًا بغير طريقةٍ، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، واللاهي بالفقه، والغبي بالبيان، آذيت جليسك).

ويروى للإمام عليٍ، رضي الله عنه:

لِئَن كُنتُ مُحتاجًا إِلى العِلمِ إِنَّني... إِلى الجَهلِ في بَعضِ الأَحايين أُحوَجُ

وَما كُنتُ أَرضى الجَهلَ خِدنًا ولا أَخًا... وَلَكِنَني أَرضى بِهِ حينَ أُحوَجُ

فَمَن شاءَ تَقويمي فَإِنّي مُقوَّمٌ... وَمَن شاءَ تَعويجي فَإِنِّيَ مُعوَجُّ

ومنها حفظ حرمات الصحبة والعشرة. قال جعفر الصادق، رضي الله عنه: (مودة يوم صلة، ومودة سنة رحم ماسةٍ من قطعها قطعه الله عز وجل)؛ وقال علي بن عبيدة الريحاني: (الأحرار ما لم يلتقوا معارف، فإذا التقوا صاروا أخوانًا، فإذا تعاشروا توارثوا)؛ وقال الصادق: (صداقة عشرين يومًا قرابةٌ).

ومنها إنصاف الإخوان من نفسه، ومواساتهم من ماله؛ لقول النبي ﷺ: (أشرف الأعمال ذكر الله تعالى، وإنصاف المؤمن من نفسه، ومواساة الأخ من ماله).

ومنها الصبر على جفاء الإخوان، وإسقاط التهمة عنهم بعد صحة الأخوة.

ومن جامع الصحبة والعشرة قول يحيى بن أكثم لما حضرت علقمة العطار الوفاة، قال لابنه: (يا بني إذا صحبت الرجال، فاصحب من إذا أخدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن تحركت بك مؤنة صانك، وإن أمددت بخير مد، وإن رأى

منك حسنة عدها، أو سيئة سترها، وإن أمسكت ابتدأك، أو نزلت بك نازلةٌ واساك، وإن قلت صدقك، أو حاولت أمرًا أمرك، وإذا تنازعتما في حق آثراك).

قال عبد الملك: (سمع الشعبي هذه الوصية فقال: تدري لم أوصاه بهذا؟ فقلت: لا! قال: لأبنه أوصاه ألا يصحب أحدًا، لأن هذه الخصال لم تكمل في أحد).

ومنها تعظيم حرمة المشايخ، والرحمة والشفقة على الإخوان، لقول النبي ﷺ: (ليس منها من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا). وقال عليه السلام: (من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة في الإسلام).

ومنها ألا يكلم الأحداث بحضرة الشيوخ. قال جابر: قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم، فقال النبي ﷺ: (وأين الكبراء؟).

ومنها أن الإنسان إذا أراد سفرًا يسلم على إخوانه ويزورهم، فلعل لأحدهم حاجةً في وجهته، لقول النبي ﷺ: (إذا سافر أحدكم فليسلم على إخوانه، فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيرًا).

ومنها ألا يتغير عن إخوانه إذا حدث له غنىً. أنشد المبرد:

لَئِن كانَت الدُنيا أَنالتكَ ثَروةً... وَأَصبَحتَ مِنها بَعدَ عُسرٍ أَخا يُسرِ

لَقَد كَشَفَ الإِثراءُ عَنكَ خَلائِقًا... مِن اللؤمِ كانَت تَحتَ سِترٍ مِن الفَقرِ

ومنها ألا يغرق في الخصومة، ويترك للصلح موضعًا؛ فقد روي عن النبي ﷺ، أو علي كرم الله وجهه: (أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وابغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما).

قيل لأبي سفيان بن حرب: (بم نلت هذا الشرف؟ قال: ما خاصمت رجلًا إلا جعلت للصلح بيننًا موضعًا).

ومنها معرفة الرجال ومعاشرتهم على حسب ما يستحقونه، فقد قيل: إن فتى جاء إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجذبه، وقال: يا سفيان، حدثني فالتفت سفيان إليه، وقال: يا بني، من جهل أقدار الرجال، فهو بنفسه أجهل.

ومنها ألا يعاشر من يخالفه في اعتقاده. قال يحيى بن معاذ: (من خالف عقدك عقده خالف قلبك قلبه).

ومنها معرفة حق من سبقك بالمودة. قال بلال بن سعيد: (من سبقك بالود، فقد استرقك بالشكر).

ومنها ترك التطرية والثناء بعد صحبة الأخوة والمودة. قال عبد الرحمن بن مهدي: (إذا تأكد الإخاء سقط الثناء)، وقال الحجي لرجل: (حبي لك يمنع من الثناء عليك).

قال السلمي: والصحبة على أوجه، لكل آدابٌ ومواجب ولوازم.

فمع الله، سبحانه: باتباع أوامره، وترك نواهيه، ودوام ذكره، ودرس كتابه، ومراقبة أسرار العبد إن يختلج فيها ما لا يرضاه مولاه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، والرحمة والشفقة على خلقه.

ومع النبي ﷺ: باتباع سنته، وترك مخالفته فيما دق وجل.

ومع أصحابه وأهل بيته: بالترحم عليهم، وتقديم من قدم، وحسن القول فيهم، وقبول أقوالهم في الأحكام والسنن، لقوله عليه السلام: (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وقوله عليه السلام: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي).

ومع أولياء الله: بالخدمة، والاحترام لهم، وتصديقهم فيما يخبرون عن أنفسهم ومشايخهم؛ فقد روي عن النبي ﷺ: (أن الله، تعالى، يقول: من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة).

ومع السلطان: بالطاعة في غير معصية الله إذ مخالفته سنة، فلا يدعو عليه فيهما، بل يدعو له غائبًا، ليصلحه الله تعالى، ويصلح على يديه؛ وينصحه في جميع أمور دينه، ويصلي ويجاهد معه؛ لقول النبي ﷺ: (الدين النصيحة)، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله، ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم).

ومع الأهل والولد: بالمداراة وسعة الخلق والنفس وتمام الشفقة وتعليم الأدب والسنة، وحملهم على الطاعة؛ لقوله تعالى: (يا أَيُّها الَّذين آَمَنُوا قُوا أَنفُسَكُم وَأَهليكُم نارًا). الآية، والصفح عن عثراتهم، والغض عن مساوئهم في غير إثمٍ أو معصيةٍ، لقول النبي ﷺ: (المرأة كالضلع، إن أقمتها تكسرها، وإن داريتها تعش منها على عوج).

ومع الإخوان: بدوام البشر، وبذل المعروف، ونشر المحاسن، وستر القبائح، واستكبار برهم إياك، واستقلال إياهم، وإن كثر، ومساعدتهم بالمال والنفس، ومجانبة الحقد والحسد والبغي وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يعتذر منه.

ومع العلماء: بملازمة حرماتهم، وقبول أقوالهم، والرجوع إليهم في المهمات، ومعرفة المكان الذي جعله الله لهم من خلافة نبيه ووراثتيه؛ لقوله عليه السلام: (العلماء ورثة الأنبياء).

ومع العلماء: ببرهما بالخدمة بالنفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدعاء لهما في كل الأوقات، وإكرام أصدقائهما؛ لقوله؛ عليه السلام: (إن البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه)؛ وقد قال رجل لرسول الله ﷺ: هل بقي عليَّ من بر والدي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: (نعم. الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما). وقال عليه السلام: (من العقوق أن يرى أبواك رأيًا وترى غيره).

ومع الضيف: بالبشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، وقبول أمره ونهيه، ورؤية فضله ومنته بإكرامك وتحريه لطعامك.

ولمعرس بن كرام:

مَن دَعانا فَأَبَينا... فَلَهُ الفَضلُ عَلَينا

فَإِذا نَحنُ أَتَينا... رَجَعَ الفَضلُ إِلَينا

الشرح:

قوله: (ومنها الأدب في الاستئذان واستعمال السنة فيه؛ لقول النبي ﷺ: (الاستئذان ثلاث: الأولى تستنصتون، والثانية يستصلحون، والثالثة يأذنون أو يردون)) المراد الأدب في الاستئذان، ومن الآداب أن يستأذن ثلاثًا فإن أُذِنَ له وإلا رجَع، ومن الآداب ألا يقف أمام الباب ...إلى غير ذلك.

القاعدة السادسة والستون: استعمال آدب الاستئذان.

قوله: (ومنها ألا يصوم إذا دعاه أخ إلا بإذنه؛ وإن نوى الصوم فليفطر تحريًا لسروره؛ فإن أبا سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: صنعت لرسول الله ﷺ، طعامًا، فجاء هو وأصحابه، فلما وضع الطعام، قال رجل من القوم: إني صائم، فقال

رسول الله ﷺ: (دعاكم أخوكم، وتكلف لكم، أفطر ثم صم يومًا مكانه إن شئت)).

هذه مسألة فقهية تنازع فيها العلماء على قولين، وهو إذا دُعي الصائم صيام نفلٍ إلى وليمةٍ:

القول الأول: الأفضل أن يفطر، وهو الذي اختاره المصنف، وهو أحد القولين عند الشافعية والحنابلة وهو ظاهر قول المالكية.

القول الثاني: أن يتم صومه وأن يدعو لصاحب الوليمة، وهذا ظاهر قول الشافعي وأحمد وهو القول الآخر عند الشافعية والحنابلة.

وذكر بعض الشافعية والحنابلة أن الأصل أن يتم الصوم إلا إذا لم تطب نفس أخيه فيفطر، أي لمصلحةٍ خارجية.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا دُعي أحدكم إلى وليمة فليُجب، فإن كان صائمًا فليصل -أي ليدعُ- وإن كان مفطرًا فليطعم**»، وثبت نحوه في مسلم من حديث جابر، وهذا الحديث يُرجِّح القول الثاني وأنَّ الصائم يستمرُّ في صومه إلا إذا علِمَ أنَّ هذا يشقُّ على أخيه، فهي مصلحةٌ خارجية، والأحكام تتغير بتغيُّر ما يحتفُّ بها، وإلا الأصل إذا كان أخوه لا يتأثَّر ولا يشق عليه أن يصوم من دعاهُ فإنه يبقى على صيامه.

القاعدة السابعة والستون: من دُعيَ لوليمةٍ فليُجب، سواء كان صائمًا أو مفطرًا.

والصحيح أن يُتمَّ صومه إلا إذا كان يشقُّ على أخيه، أما حديث أبي سعيد الذي ذكره المصنف فهو ضعيف ولا يصح.

قوله: (**ومنها الرغبة في زيارة الإخوان والسؤال عن أحوالهم؛ فقد قال النبي ﷺ: (إن رجلًا زار أخاه في قريةٍ، فأرصد على مدرجته ملكًا، فقال له: إلى أين يا عبد الله؟ فقال أزور أخًا لي في الله تعالى في هذه القرية، فقال له: طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا). وكان عبد الله بن مسعود يقول: (كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادةً، وإن كان مشغولًا كانت عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارةً)**).

زيارة الإخوة في بيوتهم ودورهم خيرٌ عظيم وسبب للألفة والمحبة، هذا إذا لم تفقده، وإذا فقدته فمن باب أولى، هذا الأصل في عامة الناس إلا أن يكون هناك ما يُخالف هذا الأصل، وزيارة الأخ في الله عبادة عظيمة ينبغي ألا يُفرَّط فيها، والأخ إذا زار أخاه في الله زادت المحبة بينهما، لأنه يعلم أنَّ فلان لم يزره إلا رغبة، وفرقٌ بين من تدعوه فيأتيك ومن تبتدئه بالزيارة، فهو دليل على المحبة والألفة.

القاعدة الثامنة والستون: زيارة الإخوة وتفقدهم والسؤال عنهم سببٌ للمودة.

قوله: (**ومنها أن تصاحب كلًا من الإخوان على قدر طريقته. قال شبيب بن شيبة: (لا تجالس أحدًا بغير طريقةٍ، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، واللاهي بالفقه، والغبي بالبيان، آذيت جليسك)**) وهذا من التودُّد الذي تقدم الكلام عليه، والمفترض أن يُنشر هذا بين العالمين، فمن أراد أن يتعبَّد الله بمحبة الإخوة فليفعل مثل هذا، أن يُصاحب الناس على طريقتهم.

قوله: (**ويروى للإمام عليٍ، رضي الله عنه: لِئَن كُنتُ مُحتاجًا إلى العِلمِ إنّني... إلى الجَهلِ في بَعضِ الأَحايين أُحوَجُ. وَما كُنتُ أَرضى الجَهلَ خِدنًا ولا أَخًا... وَلَكِنَني أَرضى بِهِ حينَ أُحوَجُ. فَمَن شاءَ تَقويمي فَإِنّي مُقوَّمٌ... وَمَن شاءَ تَعويجي فَإِنِّيَ مُعوَجُّ**) وهذه حكمة عظيمة منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القاعدة التاسعة والستون: مصاحبة الإخوة على طريقتهم وما يرغبون.

قوله: (**ومنها إنصاف الإخوان من نفسه، ومواساتهم من ماله؛ لقول النبي ﷺ: (أشرف الأعمال ذكر الله تعالى، وإنصاف المؤمن من نفسه، ومواساة الأخ من ماله)**) وهذا أمرٌ عظيم للغاية، أن تجمع بين أمرين: بين إنصاف الإخوة ومواساتهم بالمال، علَّق البخاري عن عمَّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ثلاثٌ يستكمل بهن المرء الإيمان... وذكر منها: إنصاف المرء من نفسه، فإذا حصل خلاف بين اثنين يكون منصفًا، ويقول الخطأ مني، أو أنا مشارك في الخطأ.

القاعدة السبعون: إنصاف الإخوة من النفس ومواساتهم بالمال.

قوله: **(ومنها الصبر على جفاء الإخوان، وإسقاط التهمة عنهم بعد صحة الأخوة)** وهذا أمرٌ عظيم.

القاعدة الواحدة والسبعون: الصبر على جفاء الإخوة وعدم تهمتهم بسبب جفائهم.

من الإخوة من هو مبتلى بالجفاء، فيقطع إخوانه ولا يصلهم، ولابد من الصبر على جفائهم وألا يُقابلوا بالمثل، فتفرح بلقائه لكن إن جفاك صبرت على جفائه، ولا تُكثر لومه؛ لأنه لا فائدة من اللوم.

قوله: **(قال عبد الملك: (سمع الشعبي هذه الوصية فقال: تدري لم أوصاه بها؟ فقلت: لا! قال: لأبنه أوصاه ألا يصحب أحدًا، لأن هذه الخصال لم تكمل في أحد))** صدق الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذه الخصال لا تكاد تكمُل في أحد، لكن أوصاهُ بأن يبحث عن الأكمل، فإن لم يجد نزلَ عن الأكمل لما دونه، ولو لم يُستفد من كلامه إلا معرفة خصال الخير.

القاعدة الثانية والسبعون: الانتقاء من الإخوة والأصحاب أكملهم، جمعًا للخير وخصاله.

قوله: (**ومنها ألا يكلم الأحداث بحضرة الشيوخ. قال جابر: قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم، فقال النبي ﷺ: (وأين الكبراء؟)**) هذا أدبٌ عظيم، أن يُعوَّد الصغير ألا يتكلم بحضرة الكبار، وأن يكون لكل مقامٍ ما يُناسبه، فبعض الناس بسبب التربية الحديثة يدعو إلى أن يتكلم الصبيان وأبناؤه الصغار بحضرة الكبار لأجل تقوية شخصيته-بزعمه-، بل هذا يُجرِّئه ويُفسده، ويجعله يُصاب بالعجب أو عدم المبالاة والاحترام للآخرين، فينبغي أن يُؤدَّب في مثل هذا وأن يُعوَّد المروءة والكرم والشجاعة والإقدام، ويُعوَّد أنَّ المجالس تختلف، فالمجالس التي بها كبار لا يتكلم وإنما يُحسن الاستماع والخدمة وينتقي من كلام الناس أحسنه، لا أن يتقدَّمهم.

والتربية الغربية قائمة على مثل هذا، فصغيرهم لا يحترم كبيرهم ولا يُبالي به، فقد تربَّى على مثل هذا، وينبغي أن يُربَّى الصبيان على الاحترام والتقدير، ومصلحة تربيته على الاحترام والتقدير والسكوت ومعرفة الكبير قدره مُقدمة على مصلحة تربيته على الشجاعة والإقدام في أمثال هذه المجالس.

لذا لما سأل النبي ﷺ السؤال عن النخلة، كان عند ابن عمر الجواب، لكنه تربَّى ألا يتكلم في هذه المجالس فما تكلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أنَّ النبي ﷺ سأل، فتمنى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه يُجيب، وفرق بين أن يسأل وبين ألا يسأل، لكن لأنه تربَّى على مثل هذا ما تجرَّأ على أن يتكلم في هذا المجلس وهو صغير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القاعدة الثالثة والسبعون: من آداب العِشرة والحديث عدم تكلم الصغار بين يدي الكبار.

قوله: (**ومنها أن الإنسان إذا أراد سفرًا يسلم على إخوانه ويزورهم، فلعل لأحدهم حاجةً في وجهته، لقول النبي ﷺ: (إذا سافر أحدكم فليسلم على إخوانه، فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيرًا)**).

القاعدة الرابعة والسبعون: إذا أراد سفرًا زار إخوانه لعل لهم حاجة في المكان الذي سافر إليه، فيستفيد دعاءهم.

قوله: (**ومنها ألا يغرق في الخصومة، ويترك للصلح موضعًا؛ فقد روي عن النبي ﷺ، أو علي كرم الله وجهه: (أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وابغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما)**) وهذه حكمة عظيمة، فإذا خاصمت أحدًا فاجعل للصلح موضعًا، فقد تحتاج إليه.

قوله: (**قيل لأبي سفيان بن حرب: (بم نلت هذا الشرف؟ قال: ما خاصمت رجلًا إلا جعلت للصلح بينًا موضعًا)**) وهذا حق.

القاعدة الخامسة والسبعون: جعلُ للصلح موضعًا في الخصومة.

بعض الناس إذا خاصم فجر وشدَّد من الخصومة بحيث إنه لا يجعل له موضعًا للصلح، والمراد بالخصومة غير الدينية، أما الخصومة مع أهل البدع فأمرٌ آخر؛ لأنَّ

الخصومة مع أهل البدع حقيقتها قد جعلت للصلح موضعًا، وذلك أنك خاصمته لأجل الدين، فإذا ترك ما هو عليه رجعت المودة.

قوله: (**ومنها معرفة الرجال ومعاشرتهم على حسب ما يستحقونه، فقد قيل: إن فتى جاء إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجذبه، وقال: يا سفيان، حدثني فالتفت سفيان إليه، وقال: يا بني، من جهل أقدار الرجال، فهو بنفسه أجهل**) كيف مثل سفيان يخاطبه بهذه الطريقة؟ فأراد سفيان أن يؤدبه، وينبغي أن يعرف أحوال الرجال وقد تقدم شيء من هذا.

القاعدة السادسة والسبعون: معرفة الرجال ومعاشرتهم بحسب حالهم.

قوله: (**ومنها ألا يعاشر من يخالفه في اعتقاده. قال يحيى بن معاذ: (من خالف عقدك عقده خالف قلبك قلبه)**) فإذن لا يصح أن يُصاحب أهل البدع، وعند أهل السنة مصاحبة أهل البدع تُخرج الرجل من السنة إلى البدعة، وحكى الإجماع على ذلك ابن بطة في (الإبانة الكبرى).

القاعدة السابعة والسبعون: عدم مصاحبة أهل البدع.

قوله: (**ومنها معرفة حق من سبقك بالمودة. قال بلال بن سعيد: (من سبقك بالود، فقد استرقك بالشكر)**) فمن كان أسبق ودًّا ومحبةً وصحبةً لك فقد سبقك وكان له من المودة أكثر من غيره، وهذا من حيث الجملة.

القاعدة الثامنة والسبعون: معرفة حق من سبق بالود.

قوله: (**ومنها ترك التطرية والثناء بعد صحبة الأخوة والمودة. قال عبد الرحمن بن مهدي: (إذا تأكد الإخاء سقط الثناء)، وقال الحجي لرجل: (حبي لك يمنع من الثناء عليك)**) وصدق، ما أحسن هذا الكلام، فمع قوة المحبة والأخوة لا تحتاج أن تُثني على صاحبك في وجهه، وتحتاج إلى هذا لتُثبت له المحبة أو شيء من هذا، لكن إذا قويت المحبة وثبتت فلا يحتاج أن يُثني عليه في وجهه.

وفرق بين أمرين: بين إظهار الثناء له وقد قويت المحبة وصدقت، وبين تقديره، فالتقدير شيء والثناء شيء آخر، فالتقدير مطلوب، أما إظهار الثناء فشيءٍ آخر، إنما يحتاج إظهار الثناء لمن لم تقو المودة بينهم.

القاعدة التاسعة والسبعون: ترك الثناء بعد تأكُّد الأخوَّة والمحبة.

القاعدة الثمانون: كلٌّ يُصاحَب بحسب حاله.

قوله: (**ومع أولياء الله: بالخدمة، والاحترام لهم، وتصديقهم فيما يخبرون عن أنفسهم ومشايخهم؛ فقد روي عن النبي ﷺ: (أن الله تعالى، يقول: من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة)**) إن أخبروا عن أنفسهم شيئًا فإنهم يُصدقون، إلا إن أراد على طريقة الصوفية بالإخبار عن كراماتهم وغير ذلك أو المبالغات... لكن لو أخبر شيخ عن كرامةٍ له فالأصل أن يُصدَّق.

قوله: (**ومع السلطان: بالطاعة في غير معصية الله إذ مخالفته سنة، فلا يدعو عليه فيهما، بل يدعو له غائبًا، ليصلحه الله تعالى، ويصلح على يديه؛ وينصحه في جميع أمور دينه، ويصلي ويجاهد معه؛ لقول النبي ﷺ: (الدين النصيحة)، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله، ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم)**) قوله: (**ومع السلطان: بالطاعة في غير معصية الله إذ مخالفته سنة**) أي مخالفته في معصية الله سنة.

قوله: (**فلا يدعو عليه فيهما، بل يدعو له غائبًا**) أي في حال الطاعة وفي حال المعصية، سواء كان طائعًا أو عاصيًا.

والدعاء للسلطان ذكره جماعة في كتب الاعتقاد، كالمزني في عقيدته، وأبي عثمان الصابوني في (عقيدة السلف أصحاب الحديث) وأبي بكر الإسماعيلي في كتابه في الاعتقاد، وأبي جعفر الطحاوي في عقيدته، وقال البربهاري: إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى.

قوله: (**ومع العلماء: ببرهما بالخدمة بالنفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدعاء لهما في كل الأوقات، وإكرام أصدقائهما؛ لقوله؛ عليه السلام: (إن البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه)؛ وقد قال رجل لرسول الله ﷺ: هل بقي عليَّ من بر والدي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: (نعم. الصلاة عليهما والاستغفار لهما،**

وإكرام صديقها، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بها). **وقال عليه السلام: (من العقوق أن يرى أبواك رأيًا وترى غيره))**.

وبعض الناس تجده يُخاصم أباه ويتجادل معه في أمورٍ دنيوية ويريد أن يُثبت صواب قوله وخطأ قول أبيه، وهذا من العقوق، فإذا كان مع الإخوة ينبغي أن توافقهم وألا تُخالفهم فالوالدان من باب أولى، حتى ولو كان أبوك كافرًا فضلًا إذا كان ليس كذلك.

قوله: **(ومع الضيف: بالبشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، وقبول أمره ونهيه، ورؤية فضله ومنته بإكرامك وتحريه لطعامك)** وهذا أمرٌ عظيم أن يُظهَر للضيف طلاقة الوجه والفرح به والسرور، وهذا مقتضى العقل، فأنت ستكرمه فأكرمه على خير حال.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم على كل جارحة أدب تختص بهِ:

فأدب البصر نظرك للأخ بالمودة التي يعرفها منك، هو والحاضرون، ناظرًا إلى أحسن شيء يبدو منه، غير صارف بصرك عنه في حديثه لك.

وأدب السمع: إظهار التلذذ بحديث محادثك، غير صارف بصرك عنه في حديثه، ولا قاطع له بشيء؛ فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك، فأظهر له عذرك.

وأدب اللسان: أن تحدث الإخوان بما يحبون في وقت نشاطهم لسماع ذلك، باذلًا لهم النصيحة بما فيه صلاحهم، مسقطًا من كلامك ما يكرهونه؛ ولا ترفع صوتك عليهم، ولا تخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعلمونه.

وأدب اليدين: بسطهما للإخوان بالبر والصلة، ولا تقبضهما عنه، ولا عن الإفضال عليهم ومعونتهم فيما يستعينون به.

وأدب الرجلين: أن تماشي إخوانك على حد التبع، ولا تتقدمهم؛ فإن قربك إليه تقرب بقدر الحاجة، وترجع إلى مكانك؛ ولا تقعد عن حقوق الإخوان ثقة بالأخوة، لأن الفضيل رحمه الله، قال: (ترك حقوقهم مذلة)، وتقوم لهم إذا أبصرتهم مقبلين، ولا تقعد إلا بقعودهم، وتقعد حيث يقعدونك.

واعلم، يا أخي، وفقك الله للرغبة في أدب الصحبة، أن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، لقول النبي ﷺ وقد رأى رجلًا يمس لحيته في الصلاة، فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه)؛ وقال الجنيد لأبي حفص، رحمة الله عليهما: (أدبت أصحابك أدب السلاطين)، فقال: (لا، يا أبا القاسم، ولكن حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن).

ثم اعلم أن كل علم وحال وصحبة خرج من غير أدب غالب مرود على أهله، لقوله عليه السلام: (إن الله أدبني فأحسن تأديبي). وكان عليه السلام يحب معالي الأخلاق.

وإذا وجب على العبد مراعاة ظاهره لصحبة الخلق، فمراعاة باطنه أولى؛ لأنه مطلع الرب تعالى.

ومراعاة باطنه وآدابها بملازمة: الإخلاص، والتوكل، والخوف، والرجاء، والرضا، والصبر، وسلامة الصدر، وحسن الطوية، والاهتمام بذلك في أمر المسلمين؛ لقوله عليه السلام: (من لم يهتم للمسلمين فليس منهم).

فإذا تأدب الناظر في كتابنا هذا بهذه الآداب، وتأدب ظاهره بما ذكرنا، رجوت أن يكون من الموقنين.

فنسأل الله، سبحانه وتعالى، أن يوفقنا للأخلاق الجميلة، وأن يسددنا في أفعالنا وأقوالنا وأحوالنا بمنة وكرمه، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، محمدٍ وآله وصحبه، وسلم.

الشرح:

قوله: (ثم على كل جارحة أدب تختص بهِ).

القاعدة الواحدة والثمانون: لكل جارحةٍ أدبٌ يخصُّها.

قوله: (وأدب السمع: إظهار التلذذ بحديث محادثك، غير صارف بصرك عنه في حديثه، ولا قاطع له بشيء؛ فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك، فأظهر له عذرك) فينبغي ألا تُطيل الحديث مع أصحابك إلا إذا رأيت لهم اشتياقًا ورغبةً، وإلا الأصل تجعل المجالس متبادلة، فإنَّ من يُطيل الحديث يُملّهم، وعلامة مللهم أنك تراهم تارةً لا يصغون وينصرفون في الإصغاء بطريقةٍ أو أخرى، فالعاقل يُقدِّر مثل هذا ولا يُطيل الكلام إلا إذا رأى اشتياقًا ورغبة.

قوله: (وأدب اليدين: بسطهما للإخوان بالبر والصلة، ولا تقبضهما عنه، ولا عن الإفضال عليهم ومعونتهم فيما يستعينون به) وبعض الناس بيديه مؤذي، فيتكلم ويضرب ويجرّ الشماغ أو الثوب، وهذا من الأذى.

قوله: (**وأدب الرجلين: أن تماشي إخوانك على حد التبع، ولا تتقدمهم؛ فإن قربك إليه تقرب بقدر الحاجة، وترجع إلى مكانك؛ ولا تقعد عن حقوق الإخوان ثقة بالأخوة**) هذا كلام عظيم، فإذا قويت الأخوة لا يحتاج إلى الثناء لكن تبقى الحقوق.

قوله: (**وتقوم لهم إذا أبصرتهم مقبلين، ولا تقعد إلا بقعودهم، وتقعد حيث يقعدونك**) هذا من القيام إليه، فإذا أتاك الضيف تقوم إليه وتُدخله، كما قال ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم سعد فأنزلوه**»، والقيام أقسامٌ ثلاثة:

القسم الأول: القيام إليه، وهذا من الإكرام، فيكون على دابة فتُنزله أو يأتي عند الباب فتتقدم وتُدخلهُ، كما في البخاري قال ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم سعد فأنزلوه**».

القسم الثاني: القيام عليه، أي يكون جالسًا وتكون قائمًا، وقد أنكر هذا النبي ﷺ كما في صحيح مسلم عن جابر فقال: «**إنما هو فعل الأعاجم**»، وهذا مثل ما ترى عند المسؤولين وغيرهم، يكون المسؤول جالسًا ويكون الناس قائمين، وهو ممنوعٌ شرعًا، وفرق بين أن يكون المسؤول جالسًا ويكون عنده أناس قائمون لأنه قد يطلب منهم حاجة فينفذونها، وبين أن يكونوا قائمين لأجله وبمجرد جلوسه أصبحوا قائمين ويزعمون أنَّ ذلك تقديرًا له.

القسم الثالث: القيام له، وهذا ليس قيامًا لأجل فعل شيء وليس جالسًا وأنت قائم، وإنما يدخل أو غير ذلك فتقوم له، كأن يدخل المجلس أو صالة عامة مسؤول فقام الناس، أو دخل المعلم في الفصل فقام الطلاب له، وعند الترمذي وغيره من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يتمثَّل الناس له قيامًا فليتبوَّأ مقعده من النار**».

لكن لا يدخل في هذا إذا أراد رجل أن يصافحك، فإنَّ قيامك له ليس قيامًا له وإنما قيام إليه للمصافحة، ولولا المصافحة ما قُمتَ.

وهذه الأقسام الثلاثة ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه (تهذيب السنن) وأشار لهذا ابن مفلح في (الآداب الشرعية) وابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى).

قوله: (**واعلم، يا أخي، وفقك الله للرغبة في أدب الصحبة، أن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن**).

القاعدة الثانية والثمانون: أدب الظاهر دليلٌ على أدب الباطن، وذلك أنَّ الظاهر والباطن متلازمان لا ينفكَّان.

قوله: (**ثم اعلم أن كل علم وحال وصحبة خرج من غير أدب غالب مرود على أهله، لقوله عليه السلام: (إن الله أدبني فأحسن تأديبي). وكان عليه السلام يحب**

معالي الأخلاق) يعني كأنه يقول -والله أعلم- أنه يُراعى في الأدب التوسط بلا إفراط ولا تفريط، وبما عليه الأعراف وغير ذلك.

وكثير من البلدان التي كثُر فيها التصوف أصبح في الأدب مع المشايخ غلو، وفيه تذلل كبير من التلميذ مع شيخه، وقد يسري إلى بعض أهل السنة في تلك البلدان، ثم يسري إلى أهل السنة الذين ليس عندهم تصوف من أولئك، فينبغي أن يكون الطالب مع شيخه وسطًا بلا إفراط ولا تفريط، فيحترمه ويُقدره ويعرف أنَّ هناك فرقًا بين وقت الدرس ووقت الجد ووقت المزح، فتختلف المجالس والأوقات.

وبعض المشايخ -عفا الله عنا وعنه- يجعل بينه وبين تلاميذه حواجز، وهذا غلط وهو الذي يُفسد الشباب، فيفسدهم إما بأن يصدوا عنه ويذهبوا لأهل الباطل فيستقبلوهم ويفسدوهم، وإما أن يزداد غلو التلميذ في شيخه، لأنَّ بعض النفوس إذا صددت عنها تعلقت بك وإذا أقبلت عليها صدَّت، فإذا وضعَ حواجز تعلَّقوا بالشيخ، وتعلُّق هؤلاء غالبًا ما يكون مصحوبًا بالتقليد الأعمى ولا يريد أن يفعل أي شيء خلاف قول شيخه ويخشى أن يغضب عليه؛ لأنه قد وضع بينه وبينهم حواجز، والواجب الاعتدال بلا إفراط ولا تفريط.

قوله: **(وإذا وجب على العبد مراعاة ظاهره لصحبة الخلق، فمراعاة باطنه أولى؛ لأنه مطلع الرب تعالى. ومراعاة باطنه وآدابها بملازمة: الإخلاص، والتوكل،**

والخوف، والرجاء، والرضا، والصبر، وسلامة الصدر، وحسن الطوية، والاهتمام بذلك في أمر المسلمين؛ لقوله عليه السلام: (من لم يهتم للمسلمين فليس منهم)).

القاعدة الثالثة والثمانون: مراعاة الباطن في الأدب أولى من مراعاة الظاهر، بأن يكون مبتغاهُ الله والدار الآخرة.

فينبغي أن يُنمَّى الأدب في الباطن، فيُنمى القلب على الصبر وعدم الجزع وتحمُّل المشاق، وعلى التوكل على الله وعدم الخوف من الخلق، فيفعل الأسباب مع التعلق برب الأرباب، فيصبح المؤمن الموحد قويًّا لا يخشى إلا الله، فينمي هذه الأمور في قلبه حتى يقوى توحيده ويقوى تعلقه بالله ويكون المرجو الله وحده، ولا يكن ضعيفًا ما إن تنزل به طامة أو مصيبة إلا وكأن الدنيا انتهت، وانقلب من صلاح إلى فساد ومن صبر إلى جزع وهلع، ينبغي أن يكون صبورًا قويًّا رجلًا شهمًا مقدامًا يُراعي الأمور ويُقوي قلبه، ومن أعظم ما ينفع في ذلك التعلُّق بالله سبحانه وتعالى.

القاعدة الرابعة والثمانون: الفرح لفرح المسلمين، والحزن لحزنهم.

قوله: (فإذا تأدب الناظر في كتابنا هذا بهذه الآداب، وتأدب ظاهره بما ذكرنا، رجوت أن يكون من الموقنين. فنسأل الله، سبحانه وتعالى، أن يوفقنا للأخلاق الجميلة، وأن يسددنا في أفعالنا وأقوالنا وأحوالنا بمنة وكرمه، إنه أكرم الأكرمين،

وأرحم الراحمين. والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، محمدٍ وآله وصحبه، وسلم).

أسأل الله أن يغفر للمؤلف إنه أرحم الراحمين، وأن يتقبَّل منا إنه البر الرحيم، وهذه الرسالة رسالةٌ لطيفة وجميلة لولا ما فيها من الأحاديث الضعيفة، لكن تقدم الكلام على هذا وأنَّ هذه الأحاديث قد دلَّت عليها أدلةٌ أخرى أو عموم قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾.

والأخلاق الحسنة مطلبٌ شرعيٌّ كما تقدم في صدر هذا الشرح، ولقائل أن يقول: كيف أكون ذا أخلاق حسنة؟

يُقال: بأمور:

الأمر الأول: الدعاء، وهو من أعظم الأسباب ومفتاح كل خير، ففي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب قال كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**».

الأمر الثاني: المجاهدة، فالعاقل بصير بنفسه ويعرف مواضع الخلل عنده فيحاول أن يُصلحها بالمجاهدة، ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الأمر الثالث: الاستفادة من الوقائع، فإذا حصل لك اليوم مصيبة فهلعت فتستفيد من ذلك بألا تجزع مرةً أخرى، بل تكون من الصابرين بل من الراضين بل من الشاكرين.

الأمر الرابع: النظر في أحوال الآخرين، فتنظر في حال من حسُن خلقه وتحاول أن تقلده وأن تستفيد منه في ذلك، وتنظر في حال من ساء خلقه وما عاقبة ذلك فتحاول أن تستفيد من ذلك فتُعرض عنه، روى مسلم في مقدمته عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: السعيد من وُعظ بغيره.

الأمر الخامس: القراءة في كتب الأدب والأخلاق، فالقراءة في هذه الكتب ما بين حين وآخر تُذكِّر العبد بمحاسن الأخلاق التي قد ينساها ويغفل عنها.

الأمر السادس: مجالسة ذوي الأخلاق الحسنة حتى يستفيد منهم، ويستفيد من تجاربهم وحكمهم، فينتفع بذلك انتفاعًا كبيرًا، فمن الناس من يُوفَّق ويكون عاقلًا يستطيع أن يتعامل مع الأمور ويتعايش، فيُكثر مجالسته حتى يستفيد، فإنَّ المرء يتأثَّر بغيره والإنسان كما يقول ابن تيمية، وابن خلدون في مقدمته: مدنيٌّ بطبعه ويتأثَّر بغيره.

أسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، وجزاكم الله خيرًا.